جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

الإبداع بين الذات والواقع
في روايتي
"بعدما تسقط أوراق التوت"
"أمي إليك السلام"

الدكتور
أسامة محمد السيد الشيشينى
مدرس الأدب والنقد في كلية
اللغة العربية بإيتاي البارود

"بيانات البحث"

عنوان البحث :- الإبداع بين الذات والواقع في الرواية المصرية المعاصرة

اسم الباحث:- الدكتور/أسامة محمد السيد الشيشينى

العمل:- مدرس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر الشريف

التخصص:- الأدب والنقد

عدد الصفحات:- ١٦٨ صفحة

يارب ألهمني الطريق

وأعطنى منك الكتاب

لأعود أدعو العالم الغاوى

إلى سبل الصواب

(محمد فتحي نصار)

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ** لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ** إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ** ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ** محياه بالأطماع حتى تجهما

القاضي الجرجاني

المقدمة

الحمد لله علم الإنسان ما لم يعلم سبحانه خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، الذي خصه ربه بحسن البيان، وفصاحة اللسان، وأنزل عليه الفرقان. وكانت فصاحته مثار إعجاب، وموضع استغراب في كل عصر وأوان.

أما بعد،،،

فالأدب العربي – في عصرنا هذا – يمر بمرحلة ازدهار للرواية، وهذا ما جعلها تحتل مساحة كبيرة في الذاكرة العربية، التي كانت تلصق الأدب بالشعر، لأنه كان بمنزلة الممارسة الأدبية الأكثر استقبالا لدى القارئ، لكن الرواية – الآن – أصبحت تشكل مكانة قيمة استطاعت من خلالها أن تحقق تطورا مكنها من مشارفة الكمال الفني بين مختلف الأجناس الأدبية في الفكر العربي، لأنها تعد الجنس الأكثر قدرة على استيعاب مختلف التحولات التي عرفها المجتمع العربي وأيضا لأنها قد لامست العديد من الجوانب المحظورة في الثقافة العربية، جاعلة منها نوافذ تستطيع من خلالها الإطلالة التخيلية على عوالم ظلت في حكم المسكوت عنها والمهمش والمقصي من التفكير.

إن الفن الروائي في تطور مستمر، لذا كان على النقد الأدبي أن يتابع تلك الحركة المزدهرة، لإرساء القواعد الفنية التي تساعد على تقدمه وتطوره أكثر، فيزداد انتشارها، وإعداد قرائها.

ودراستي – هذه – تتناول تجربتين روائيتين :-

للكاتب الأستاذ / أحمد بسيوني والكاتبة الأستاذة / هبة الشريف

وقد أظهرت هاتان الروايتان الارتباط بقضايا المجتمع وهمومه وآلامه ؟ لذا تجسد في هذين العملين روح التمرد والثورة والحرية ومحاولة الخروج بمصر من سلبيات الجمود والرجعية والاستبداد والأخذ بها إلى الحرية.

وهاتان التجربتان سوف تجعل الكاتب والكاتبة – فيما أعتقد – ذا مكانة بارزة على خريطة الرواية المصرية، لما فيهما من إبراز لفرحة الفرد بذاته التي ظلت مقهورة شاردة في ظل انتشار الجهل والتخلف والظلم، كما أن الروايتين قد أوضحتا اعتزاز الفرد بثقافته ووعيه الاجتماعي، وتطلعه إلى القيم الإنسانية كالعدالة وغيرها.

وعلى الرغم من هذه القيمة لتلك الروايتين، فإني في غاية الدهشة لعدم اهتمام الباحثين لهذه الأعمال الروائية القيمة، إذ لم تصدر أي دراسة (ماجستير أو دكتوراه) مستقلة ومتعمقة حول الإبداع الروائي لكليهما.

وقد يكون السبب في هذا بعد مكان إقامتهما عن مركز الإشعاع الثقافي (العاصمة)، أو إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي حالت دون نشر إبداعهما الروائي مبكرا.

والأدب العربي مليء بهؤلاء الروائيين المغمورين، الذين تميزوا في أعمالهم بالكثرة والجودة، لكنهم ظلوا خلف الأضواء وستظل أعمالهم باقية وهذا ما يدل على صدق عاطفتهم وأصالة كتاباتهم.

ودراستي تشتمل على **مقدمة، وفصلين**، يتبعهم **خاتمة** ثم **ثبت بالمصادر والمراجع**، وأخيرا **فهرس الموضوعات**.

أما المقدمة فقد تناولت فيها ازدهار الرواية في العصر الحديث، ثم بينت مكانة العملين المنوط بهما هذه الدراسة، وكذلك أوضحت دور النقد إزاء هذا الازدهار، وأخيرا أبرزت منهجي في هذه الدراسة.

واختص الفصل الأول بالجانب النظري، وقد تكون من مطلبين :-

الأول : - تحدثت فيه عن الرواية وأهميتها وخصوصيتها وتطورها من الإقليمية إلى العالمية.

والآخر :- تناولت فيه علاقة الأديب بالمجتمع، وهذه العلاقة الوطيدة التي تؤدي إلى ازدهار الأعمال الأدبية، لأن الأديب يعد ابنا لبيئته لا ينفصل عنها، ولكنه ينقلها – من خلال عمله الأدبي – كما يحسها ويشعر بها لذلك فلابد من معايشة البيئة التي ينشا فيها أي عمل أدبي، وأيضا لابد من معرفة المعايير والأسس الجمالية التي نستطيع من خلالها معرفة القيمة الفنية والحس الجمالي للعمل الفني، لذا فالأدب القوي هو الذي يعبر عن التجارب بصدق سواء أكانت واقعية – يستمد تجاربه وموضوعاته من البيئة – أم كانت خيالية.

ونتيجة لهذا الارتباط الوطيد بين الأديب وبيئته، نجد أن سلوك الأديب يتشكل " تبعا لنوع الحياة التي يعيشها، وتبعا للعلاقات المختلفة التي يرتبط بها، فالمجتمع يغذي الفرد بكثير من مظاهر التراث الاجتماعي ويصبغه بالصبغة العامة للحياة التي يتميز بها "(١)

وتناولت في الفصل الثاني : الجانب التطبيقي الذي يتكون من مطلبين :-

(١) محمد علي حافظ :- مستقبل الشباب العربي صـ٥٤ (دار المعارف – ١٩٦٣).

الأول :- الإبداع بين الذات والواقع في رواية (بعد ما تسقط أوراق التوت)، وكان ذلك في عنصرين

العنصر الأول :- الرؤية وقد تحدثت فيه عن مضمون الرواية، وما اشتملت عليه من صفات وقيم أخلاقية أو سلبيات اجتماعية.

العنصر الآخر : - التشكيل وقد أوضحت فيه التقنيات التي اعتمد عليها الكاتب في إبراز تجربته إلى المتلقي، وذلك نحو (السخرية / الحذف / الأسلوب النفسي / الاستشراف .....إلخ).

المطلب الثاني :ـ الإبداع بين الذات والواقع في رواية (أمى ....إليك السلام) وكان ذلك في **عنصرين** :-

الأول :- الرؤية وفيه تناولت القيم الإسلامية التي برزت في هذه الرواية وأثرها الفني.

الآخر :- التشكيل وقد ازداد إعجابي بهذه الرواية القيمة هذا البناء الفني، وتلك اللغة الشعرية التي استطاعت الكاتبة – من خلالها – أن ترسم أدق المشاعر التي تصور أخفي الأحاسيس الكامنة في النفس البشرية، وحقيقة لقد نجحت الكاتبة في توظيف اللغة توظيفا بارعا في عملها الروائي، وسوف يتضح ذلك عندما أقوم بنقد الرواية.

أما المنهج الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة، فالأمر قد اقتضى أن اعتمد على المنهج التكاملي، لأنه يعني الإفادة من المناهج الأخرى ويقف عند النص الروائي تحليلا، إذ إنه لا يهتم بزاوية دون أخرى من زاويتي الشكل والمضمون، فالمنهج الاجتماعي سيكون مجالا للكشف عن مضمون العمل الروائي، والمنهج الفني سيبحث في التقنيات

والآليات التي استخدمها الأديب، والمنهج النفسي يهتم بالشخصيات لاسيما في معالجة طبائعهم.

هذا والله وحده يعلم ما بذلته من جهد، وما حرصت على تجسيده من هدفي وغايتي من عملي وإني لا أدعي الكمال لهذه الدراسة – فالكمال لله وحده – فقد يكون في هذه الدراسة ثغرات ومآخذ، ولكن – حسبي – أنني بذلت قصارى جهدي في كشف النقاب عن تلك التجربتين الروائيتين الضائعتين وتقديمهما بثوب علمي آمل أن يليق بهما، ولله الحمد في الأولى والآخرة وله سبحانه الحكم، وبه الاستعانة والتوفيق.

الدكتــور

أسامة محمد السيد الشيشينى

مدرس الأدب والنقد في كلية
اللغة العربية بإيتاي البارود

الأستاذ / أحمد بسيوني

ولد في مدينة شبين الكوم ٢٧/ ٣/ ١٩٣٨، له الكثير من الإبداعات الأدبية منها :-

- رواية (دعاء القدر)، رواية (أطياف الماسه الزرقاء)، رواية(ربما تحلم الأمواج)
- رواية (وداعاً : وداعاً متاب)، رواية (اغتصاب الشمس).
- مسرحية (النبوءة)، مسرحية (العودة للمكلوت)، مسرحية (عندما ترتجف الأرض)، مسرحية (لؤلؤة الشروق)
- ديوان (أشواق إلى الله)، ديوان (سالومي تعود) إلى غير ذلك من الإبداعات الأدبية التي سجلت العديد من القضايا المصرية وغيرها.

ويعد الكاتب

١- عضواً في رابطة الأدب الإسلامية العالمية.

٢- عضواً في اتحاد كتاب مصر.

٣- مؤسساً ورئيساً للمنتدى الإبداعي الثقافي بالمنوفية ٢٠٠٧م.

٤- أحد مؤسسي الحركة الأدبية بثقافة المنوفية منذ الستينيات حيث كان رئيس نادي الأدب بثقافة المنوفية دورات عدة منذ السبعينيات، ورئيس الملتقي الثقافي بالمجتمع الإعلامى بالمنوفية.

٥- مثّل محافظة المنوفية في عديد من المؤتمرات أولها مؤتمر الأدباء الشبان ١٩٦٩ م.

٦- عضواً بالأمانة العامة لمؤتمر أدباء مصر بالأقاليم دورتين.

٧- حصل على درع جامعة المنوفية ٢٠٠١ في المهرجان الشعري بكلية الآداب جامعة المنوفية.

الأستاذة هبة الشريف

من مواليد محافظة المنوفية، مركز ومدينة الشهداء ١٩٨٠م، تخرجت في كلية التربية النوعية بأشمون، ولها أعمال إبداعية منها :

١- نهر الدموع ٢- أحلام ممنوعة ٣- أجنحه لا تطير

وقد حصلت على جوائز عدة منها :

١- جائزة عبد الرحمن الشرقاوي عن قصة (وحدي مع الموت) ٢٠٠٦م.

٢- جائزة رموز القرية : بحث عن الشاعر محمود الخفيف ٢٠٠٩ م.

٣- جائزة المنوفية للإبداع الأدبي عن رواية (أمي : إليك السلام) ٢٠٠٩م.

٤- جائزة في القراءة الحرة ٢٠١٠ م.

" الفصل الأول "

الجانب النظري

يتكون من مطلبين :-

١- ماهية الرواية وأهميتها .

٢- العلاقة بين الأديب والمجتمع .

المطلب الأول : " ماهية الرواية وأهميتها "

الرواية تعد من أقوىٰ الفنون تأثرا بواقع الحياة؛ فهي المعبرة عن صوت الأمة وحركتها ونضالها وازدهارها؛ لذا فالروائي المبدع هو الذي لا يحدث فجوة – انفصالا – بين معاناته الذاتية ومعاناة مجتمعه؛ بل عليه الاعتماد علىٰ قضايا مجتمعه، ويجعل من خلالها أداة يظهر كل قضاياه ومعاناته.

ومعرفة الروائي لقضايا أمته ومشكلات مجتمعه؛ لا يناقض ماهية الرواية؛ إذ لابد للروائي أن يكون ذا حصيلة غامرة من الثقافة، وذلك لن يتحقق إلا إذا كان الروائي ملما بقضايا مجتمعه؛ لأنه لن يستطيع الخروج من الوجدان الجماعي؛ فعمله تجربة اجتماعية تتميز بإظهار الآلام، أو نشدان الآمال، ومن هنا يصعب علىٰ الروائي ان يعيش منعزلا عن قضايا مجتمعه وظواهره السلبية.

وقد بدأت الرواية تحتل مكانة بارزة بين ألوان الفن القصصي لما لها من ميزات خاصة جعلتها أقدر هذه الألوان في التعبير عن الحياة الإنسانية واحتواء أي دعوة أو هدف منها، لذا فبعد " أن كانت الروايات تتلىٰ لمجرد الإعجاب ببطل، أو الاستغراب عن حادث، صارت من أكبر وسائل التهذيب، وأصبح الغرض منها ومن تأليفها،إما تمثيل الفضائل علىٰ كيفية تقرب من الحقيقة بقدر من الإمكان وتوقيفها علىٰ أسلوب يؤثر في ذهن القارئ وقلبه معا، أوبسط أخلاق بعض الأمم في عصر من العصور"[1].

(١) أحمد إبراهيم الهواري :- نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، صـ٤٤ (ط٢، دار المعارف، ١٩٨٣) .

وتعتمد الرواية على إمتاع الإنسان، وزيادة وعيه، ونقله من حالة عقلية واجتماعية ونفسية معينة إلى حالة أفضل وأهم،ولهذا فقد تحولت الراوية إلى نموذج، يستطيع الإنسان – من خلالها – أن يقيس سلوكه، فإننالانزال نشبه " الشخصيات الحية بمثلها في (ألف ليلة وليلة) أو بما يشبهها من رموز (كليلة ودمنة) أو السير الشعبية أو الأسطورة، وهذا دليل أكيد على تغلغل الوعي القصصي في حياتنا، وبروز دوره الحضاري عبر حوادثه وشخصياته وطرق أدائه "(١).

تتطلع الرواية إلى اقتحام المفاسد الاجتماعية، وفتح السلبيات السياسية، وذلك للوصول إلى التخلص منها، والرغبة في مزيد من الوعي، عندما يتعامل الفرد مع واقعه الحضاري، ولن يستطيع الروائي الوصول إلى ذلك إلا إذا كانت الرواية مشتملة على تلك المضامين العصرية الشجاعة، التي تستطيع من خلالها هز الجذور المتعفنة، والقضاء على هذا الغبار المتراكم الذي يفسد حياة الفرد ومجتمعه.

وهذا ما جعل الرواية من اقوي المؤثرات في إيقاظ الأمم والشعوب، وبعث نبض الحياة فيها، كما جعلها من أكثر العوامل على بث روح الوطنية والفداء وذلك لأن الرواية أصبح لها دور مؤثر في الدعوات الوطنية، والحركات التحررية، والقضايا السياسية وغيرها، وكذلك الوقوف في وجه الدعوات المغرضة، والآراء الهدامة؛ لذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا ان الرواية أصبحت الصق بوجدان الشعب، وأن الروائيين يعدون عنوان حياة أمتهم، ولسان حالهم المعبر عن آمالها والآمها، ومن هنا فقد صاروا أقدر

(١) مدحت الجيار: من السرد العربي المعاصر صـ٤٦ (الهيئة العامة لقصور الثقافة– سلسلة كتابات نقدية ١٩٦٦).

الناس في التعبير عن مشاعر أممهم وأبناء مجتمعهم والأخذ بأيدهم من الضعف والانكسار إلى سماء العزة والانتصار.

ويعد البناء الفني – والأدوات الفنية – مرنة في يد الروائي، فأدوات التشكيل تمثل للروائي أحد الأسلحة التي يستطيع من خلالها اقتحام الواقع المتأزم بسبب أدواته القمعية، وكذلك يستطيع الروائي هدم المحظورات والممنوعات التي تستشري في البيئات السياسية؛ لذا بدأ الروائي يعتمد على الرمز وغيره من الأدوات الفنية الأخرى، التي أصبحت مهمة لدى الروائي؛ نظرا لرغبته في السيطرة على واقعه القاسي.

وقد ازدهرت تلك الآليات الفنية؛ نظرا لتطور حياتنا المعاصرة؛ التي تشهد ميلاد أول عناصر منظومة تقنية متكاملة، هي " تكنولوجيا المعلومات، التي تزاوج بين تكنولوجيا الحواسب .... والاتصالات في كيان غير مسبوق، يعني بكل ما يتعلق بمعالجة المعلومات ويعمل على دعم التواصل والاتصال بين بني البشر "[1]؛ لذا كان على الروائيين من مسايرة هذا التقدم، وذلك من خلال إقامة تفاعلات وحوارات خلاقة مع العوالم الأخرى، وتنمية الوعي الحضاري ليس مقتصرا على الروائيين ، – فحسب– وإنما هو مسئولية مشتركة بين جميع الوسائل الثقافية والأدبية والفنية، كل حسب المنهج الذي يعتمد عليه، وتبعا لظروف ذلك الواقع الاجتماعي، وتعني كلمة الوعي الحضاري " القدرة العقلية والنفسية والاجتماعية لدى الإنسان، وهي القدرة الفعالة والمتحكمة في سلوكه وعلاقته، واختلافها من فرد لأخر ومن أمة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، شيء

(١) السيد نصر الدين السيد:- إطلالات على الزمن الآتى صـ٢١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٨).

طبعي؛ لأنه وعى يمثل خلاصة التجربة الإنسانية المتطورة في كل شيء من جوانب الحياة "[1].

وكان هذا التطور مرهونا بخصوصية للرواية العربية، هذه الخصوصية تشكلت من خلال إبداع روائي ذاتي، وكذلك من خلال إبداع روائي قومي موضوعي؛ لذا كانا أمر طبعيا أن نرى تعددا للخصوصية من حيث طبيعتها الإبداعية الذاتية الفردية، كما نرى أحادية للخصوصية من حيث طبيعتها القومية الموضوعية، ولهذا فإن تحديد الخصوصية الروائية العربية ليس قضية ذاتية أحادية محضة، بل تتضمن جدلا بين الذات والموضوع وتظهر تلك الخصوصية من خلال الفضاء الشمولي للرواية، الذي يتناول كثيرا من الآليات الفنية للشعر والمسرح وغيرهما؛ وهذا ما جعل الروائيون ينظرون إلى الرواية بأنها طوق نجاة يستطيعون من خلالها مواجهة طوفان الحياة وتراكماته، فمثلا يقول الكاتب "**أحمد إبراهيم الفقيه**" : " أتعامل مع الواقع تعاملا حذرا، وطالما أنني لا أستطيع استيعابه وترحيله، واهتديت شخصيا إلى طريقتي الخاصة في البحث عما فوق الواقع وحول الواقع لتقديم مشهد روائي أو قصصي، أكثر ثراء وعمقا وتعبيرا عن جوهر الحياة فالحياة ليست فقط ما نرى أو نسمع، ولكن هناك أكثر من ذاك الذي نراه ونسمعه، وهو الذي أحاول أن أهتدي إليه بوسائل الإبداع الفني ....."[2]

(١) مدحت الجيار :- من السرد العربي المعاصر صـ٢٥ (الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٦).

(٢) أحمد إبراهيم الفقيه : السرد الروائي وفن التحايل على الإرادة الواعية ، (مجلة فصول – عدد ١ صيف ١٩٩٨) صـ١٧٠.

وتتميز الرواية كذلك بأنها جنس تعبيري، تستطيع من خلاله أن تقول كل شيء، وذلك على العكس – تماما – من الفنون الأخرى؛ فمثلا المسرح نعلم أنه محدود بمكان معين ووقت معين، وكذلك الشعر الذي يتسم بعالمه الخاص به، وهو التعبير عن رؤية مثالية – غالبا – في أسلوب لغوي، ولهذا فقد ازداد عدد الروائيين، وشاهدنا حركة الرواية في تطور على كثير من المجالات الأدبية؛ مما يبين التوجه الثقافي لهذا الفن الأدبي، في حين إننا نشاهد قلةً في ازدهار الفن الشعري فأغلب الذين نالوا جائزة نوبل في الأعمال الأدبية، كان من خلال كتاباتهم الروائية.

وأفضل الأدلة على أهمية الرواية وتطور تقنياتها، طابعها الفني الذي يتسم بالانفتاح على العلم والياته المتطورة، وكذلك مناقشتها لواقع الإنسان وبيان همومه، وكذلك " قدرتها على التقاط الأنغام المتباعدة المتنافرة وذلك بواسطة الطبيعة البوليفونية التي ينطوي عليها النسيج الروائي[1].

لذا نستطيع القول : إن الرواية تسير في التطور – دوما- وذلك لتحقق انتقالا حضاريا سريعا ليطلق طاقات الإنسان وحرياته. مما سبق نستطيع القول : أن **العصر** الحديث يعد من العصور الأدبية التي راقت فيها الحركة العلمية والثقافية، وخاصة بعد اتصال العرب بالأجناس الأدبية الأخرى، التي أصبح لها دور بارز في العصر الحديث.

سواء تجسد ذلك في الناحية العلمية والأدبية أم في النواحي الاجتماعية والسياسية؛ لذا حرص الكتاب على التجديد في نواحي الحياة المختلفة، وكان من ذلك التجديد في سرد الرواية العربية.

---

(١) جابر عصفور : (مجلة فصول، شتاء ١٩٩٣) صـ ٥.

وهذا التجديد لا يولد دون معاناة أو ألم، أو لا يوجد دون إرهاصات ودواع، ومن تلك الدوافع : اختلاف معطيات العصر : إذ إن العصر الحديث قد ازدهر علميا وثقافيا، فكان من الضروري أن يحدث تطوير يلائم هذا الازدهار، ويواكب تلك التطورات التي برزت في كل مظاهر الحياة، وقد تم ذلك في الناحية الأدبية؛ حيث تطور الشعر من الشعر العمودي، إلى الشعر الحر، إلى قصيدة النثر، كما تطورت الرواية في أساليب تقنياتها، وكان هذا التطور أمرا طبعيا؛ لملاءمة تطور العصر الحديث، فالأدب له علاقة وثيقة بالمجتمع.

ومن دوافع تطور الرواية : اعتناء الروائيين بتقنياتها؛ إذ شاهدوا جائزة نوبل، واهتمام القراء .....إلخ، يكون من خلال النص الروائي، فمثلا نجد "**جابر عصفور**" يضع إحصاء لجائزة نوبل للآداب من عام ١٩٠١م حتى ١٩٩١م ويظهر أنهم قد بلغ عددهم ثمانية وثلاثين عالما في أكثر من فن أدبي، وكان منهم أربعة وعشرون كاتبا للقصة قد حصلوا على هذه الجائزة، وهذا يدل على ازدهار الرواية وتطورها عالميا مما يستدعي اعتناء الروائيين بها.(١)

ومن تلك الدوافع أيضا : حب الروائيين – الشديد – للعمل – والكتابة – الروائي لأنه يتسم بالمرونة، الأمر الذي يجعله متفاعلا مع مستجدات العصر، فهو يتسم بمقدرة فنية تساعده في التعامل مع تقنيات العلم الحديثة.

وكذلك نجد – من هذه الدوافع – الاطلاع على الثقافات الأخرى : حيث اتصل الكتاب بالأدب الأوربي الحديث، واطلعوا على نماذجه في هذا الفن وغيره؛ لذا ظهرت

(١) جابر عصفور : زمن الرواية صـ٢٧ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٩).

طبقة كبيرة من الكتاب العرب الماهرين الذين تمكنوا من هذا الفن، فأسهموا في ازدهار تقنياته، وهذا ما نتج عنه ظهور اتجاهات مختلفة في الرواية، فضلا عن صدور الأعمال الروائية لروائيين كتبوا عن علم بها وباتجاهاتها.

وقد اتبع هذا الاطلاع تنوعا لثقافة المتلقي؛ بسبب الطابع الفني الذي يلائم الانفتاح على عصر العلم والياته المتقدمة.

وتعد الرواية أكثر الفنون الأدبية تحقيقا لرغبات الفرد وحاجاته وتعبيرا عن التغييرات الوضعية للمجتمع، والوقوف أمام تحديات ذلك العصر الذي ازدادت فيه المعرفة والتكنولوجيا؛ وذلك لما تتميز به من التحرر والانفتاح والمرونة، إضافة إلى ما كان للترجمة من دور مهم في إرساء قواعد هذا الفن وتطوير آلياته المختلفة.

"المطلب الثاني":- "العلاقة بين الأديب والمجتمع"

يعد الأديب وليدا للبيئة التي ينشأ فيها، فصوره وخياله وتراثه الفكري وإحساسه الفكري يستمده من واقع المجتمع الذي يعيش فيه، فالأديب لا شك يكون متأثرا به، لكنه يعود يؤثر في واقعه بإذاعته ما يكتبه على مجتمعه (- الخلق، البشر -).

وهذا ما يعني أن الأدب ظاهرة اجتماعية، فالمجتمع هو السبب الرئيس والعامل المؤثر – الفعال – في الظاهرة الأدبية وإخراجها لحيز الوجود وكذلك لتحقيق أهداف مهمتها؛ فالظواهر الأدبية في المجتمع تعد أثرا ملموسا من أثار المجتمع والبيئة التي يعيشها.

ويعد الفرد جزءا من كل، يعمل من خلاله، وتحقق أهدافه الفردية من خلال تحقيق أهداف هذا الكل المتماسك(١)، ويرجع ذلك إلى أن الفرد يعد ظاهرة اجتماعية، ودليل ذلك عوامل تربيته، فالفرد " لم ينشئ نفسه وليس من سبيل إلى تصوره مستقلا، وإنما هو في وجوده المادي والمعنوي أثر اجتماعي وظاهرة من ظواهر الاجتماع، لا يوجد إلا إذا وجد والتقى الجنسان، فإذا وجد فالجماعة كلها متعاونة متضافرة على تنشئته وتربية جسمه وعقله وشعوره وعاطفته ....يتعلم الفرد الدين الذي ينظم حياته الروحية، وليس هو الذي أحدث هذا الدين، بل ما من سبيل إلى وجود النظم الاجتماعية والسياسية إذا لم تكن هناك جماعة تحتاج إليه "(٢).

---

(١) د/ طه حسين : قادة الفكر صـ٦ (دار المعارف، ط٩، القاهره) .

(٢) السابق نفسه صـ٧ .

والأديب الحق هو الذي يستطيع أن يصور موضوعاته تصويرا دقيقا – من خلال تأثره بالواقع –؛ إذ إنه يمتلك قدرة على إثارة العاطفة لدى المتلقي والتأثير عليه تأثيرا عميقا؛ فالأديب من خلال التصوير الدقيق لقضايا المجتمع، نجده يصل إلى شغاف القلوب، كما أنه يستطيع – بذلك – أن ينفذ إلى مشاعر الناس وأحاسيسهم.

وانطلاقا مما سبق نستطيع القول : إنه توجد علاقة لزومية بين المجتمع الإنساني وثقافة الرواية التي تشتمل على كل الاتجاهات الثقافية والإنسانية؛ فهي تعد أفقا مفتوحا لتشكلات إبداعية لا تنتهي؛ لأنها تمتلك لقدرات فنية تستطيع – من خلالها – استيعاب تحولات المجتمع الملازمة له عبر مراحل تطوره، وهذا التغيير عندما يتصل بواقعنا العربي قد يأخذ شكل العاصفة، ولذلك لا يمكن أن نستوعب وجود الكاتب وهو بمعزل عن هذا التطور؛ فالأديب يعد المرآة العاكسة لأصداء الواقع، الراصدة لحقائقه، المعبرة عن أحاسيسنا، كل ذلك يجعلنا نشير إلى طبيعة هذه التغييرات التي انتابت علاقة العمل الروائي بالواقع الذي تصدر عنه، ولذلك فانه أمر طبعي أن تحدث تلك التحولات النصية على العمل الروائي.

إن من تمام فنية الرواية مناقشتها الواقع الذي تتحكم فيه الأفكار فتغيره أو تطوره؛ وذلك حتى يتحقق عنصر الإقناع عن طريق الإيهام بالواقع، ولا يمنع ذلك اختلاط هذه الأفكار بالخيال، فنحن لا نحرم الأحلام والآمال التي يحلم الروائي بتحقيقها على أرض الواقع، لكنه يجب ان يتصل الحلم والخيال بالواقع، وبالتالي يجوز للروائي أن يضمن عمله فلسفته الخاصة، فيسخر الشكل الفني لتلك الفلسفة المسيطرة على عقله ولا يعد ذلك عيبا.[1].

(١) انظر : د / محمد زغلول سلام : دراسات في القصة العربية الحديثة صـ١٧٦، (منشأة معارف الإسكندرية ١٩٨٣) .

لقد ظهر لدينا – من خلال مطالعتنا للنصوص الروائية – اهتمام الروائيين برصد وتسجيل ومعالجة المتغيرات الاجتماعية والثقافية، وذلك في الكثير من الإبداعات الروائية في الرواية العربية مثل " **الحرافيش** " و " **حديث الصباح والمساء** " للروائي " **نجيب محفوظ** " وكذلك " **بيروت ٧٥** " **لغادة السمان** في سوريا، و " **موسم الهجرة إلى الشمال** " للطيب صالح، فتلك الروايات – وغيرها الكثير – قد رصدت المتغيرات داخل المجتمع، تلك المتغيرات التي تمثل "ضرورة لازمة كانت تتطلبه حاجة المجتمع العربي تلبية لواقع جديد، فرضه الانتقال التدريجي بين المجتمع التقليدي العضوي، وعلاقاته المترابطة على نطاق ضيق .... وبين مجتمع الفردية بتمزق روابطه وسعيه إلى أفاق أوسع في الفكر والشعور والوجدان على نطاق أوسع...."[١].

واقتراب الراوية من المجتمع كان نابعا من آلية التعدد في الأغراض والموضوعات تلك الآلية التي تحدث عنها الكاتب "نجيب محفوظ " فقال : وسبب أخر لايقل عن هذا في خطره، هو مرونة القصة واتساعها لجميع الأغراض، مما يجعلها أداة صالحة للتعبير عن الحياة الإنسانية في أشمل معانيها، لذلك توجد قصة عاطفية وقصة شعرية، وقصة تحليلية، وقصة فلسفية، وقصة علمية، وقصة سياسية، وقصة اجتماعية"[٢].

كل ذلك يجعلنا نقر –عن يقين– بأن الصلة بين الأدب والحياة تعد قوية؛ إذ إنه يتأثر بحالة المجتمع وظروفه الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وهنا يكون الأدب – والأديب – صورة صادقة،ومرآة صحيحة لها؛ إذ يبرز ظلال الوعي القومي، ويوضح

(١) إبراهيم فتحي : خصوصية الرواية العربية صـ٢٣ (مجلة فصول، عدد، ١٩٩٨) .

(٢) نجيب محفوظ : مجلة الرسالة ص٩٥٣ (عدد ٦٣٥ – ٣/ ١٩-١٩٤٥).

تيارات المشكلات الاجتماعية السائدة، وقد أقر النقاد – كذلك – بهذه العلاقة الوثيقة بين الأدب والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في أي مجتمع من المجتمعات.

وعلى أساس هذه العلاقة الوطيدة بين الأديب والمجتمع – وما يسودها من روابط متينة تدفع الأديب إلى العمل في خدمة المجتمع، كما تدفعه إلى اختيار اللغة التي تلائم قراءه من الجمهور على اختلاف مستوياتهم الثقافية – تتحقق مهمة الأدب ووظيفته، وتصبح الصلة أكثر قوة وفعالية بين الأديب والمتلقي بما يقوم به النقد من دور فعال في تبليغ رسالة الأديب.

وبجدر بنا أن نشير إلى دور الأدب في تلبية حاجة الإنسان، فالأدب ماهو إلا ثمرة لحاجة الإنسان إلى التعبير عن عقله وشعوره، فهو وسيلة اتخذها الإنسان لتصوير ما في نفسه من أفكار وعواطف، وذلك كله يكون من خلال رغبة الأديب في تقديم النماذج الممتعة الايجابية التي تثير العاطفة وتحرك المشاعر والأحاسيس، وهنا يظهر دور الأدب الخطير؛ لأنه إذا أحسن استخدام النواحي الإنسانية ووجهها التوجيه الصحيح في نشر الوعي والفضيلة التي تسمو بالمجتمع إلى الرقي والازدهار، هنا يصير الأدب أداة تحضر وتقدم، أما إذا أسيء استخدامه، بأن دعا إلى غرس الشر، وتحسين القبيح، هنا يكون الأدب أداة هدم وخراب على هذا المجتمع.

ومن المتعارف عليه أن العصر الحديث كان عصر النهضة والعلم والصناعة، ذلك العصر – طبعيا – يحتاج إلى فن جديد يستطيع التوفيق بين اهتمام الإنسان المعاصر بالحقائق وصناعة القديم إلى الخيال، وقد ظهر ذلك جليا في فن القصة[1]، وكانت

(١) مجلة الرسالة : صـ٩٥٢ (عدد ٦٣٥، ١٩٤٥).

الرواية – فن القصة – أكثر الفنون للتعبير عن ذلك؛ لما تتمتع به من المرونة والطواعية؛ التي تساعدها في خلق تفاعل مع مستجدات العصر، وحاجاتها المادية، وكذلك كيفية التعايش مع هذا العصر الذي يتسم بطفرات تغير مستمر.

كل ذلك جعل بعض النقاد المعاصرين يطلقون على هذا العصر "**عصر الرواية**"، فيقول "**جابر عصفور**": ويبدو أن تحولات الزمن الذي نعيشه، منذ أن انكسر المشروع القومى في العام السابع والستين وتمزق هذه التحولات بين نقائضها المتعددة المتكثرة، وما تفرضه من بحث مجدد عن الهوية الفردية والاجتماعية والإبداعية، وما يتطلبة هذا البحث من مراقبة متأنية لعناصر اللحظة الرمادية التي نعيشها يبدو أن ذلك كله هو ما جعلنا نعيش ما يمكن أن نطلق عليه زمن الرواية "[1].

(١) جابر عصفور : زمن الرواية صـ٤٨ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٩).

الفصل الثانى
الجانب التطبيقي

ويتكون من مطلبين

١- الإبداع بين الذات والواقع في رواية (بعد ما تسقط أوراق التوت)

٢- الإبداع بين الذات والواقع في رواية (أمى ..... إليك السلام)

" المطلب الأول"

" الإبداع بين الذات والواقع في رواية بعدما تسقط أوراق التوت"

أولا : الرؤية :- من المتعارف عليه أن المجتمع المصري في العصر الحديث قد مر بتطورات متعددة في أركانه المختلفة، وخاصة في الاتجاهين الاجتماعي والسياسي، ومن تلك التطورات وجدنا دخول المرأة في مجال التعليم والعمل والمشاركة السياسية، وهذه التطورات منها ما يكون سلبيا يعكس الأدواء التي استشرت في المجتمع، ولا شك أن هذه التغييرات لابد أن تصطحبها مشكلات عدة، كان من بين تلك المشكلات ظهور " الصراع بين الأجيال الذي تولد نتيجة التصارع في عمليات التغيير الذي أدى إلى اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء ....وإلى اتساع اكبر لها بين الأجداد والأحفاد، مما حول الخلافات الطبيعية المحدودة بين أجيال الأسرة إلى مشاحنات ومشكلات تعانى منها أسر كثيرة في مصر "(١).

ويفرض الواقع ذاته على الكاتب الروائي، وخاصة إذا وجد حدثا جللا قد ألقي بظلاله التغيير في كافة أوجه الحياة، ولاشك أن الكتابات الروائية قد أحدثت تغيرات واسعة في المجتمع الذي نشأت فيه؛ وكان من هذه التحولات التغيير السياسي والاجتماعي.

---

(١) المسرح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري من ١٩٥٢ – ١٩٨٠ صـ١٦٤ (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية).

والرواية في مجملها تدور حول إظهار مشكلات عدة وجدت في مجتمعنا المصري، وذلك نحو الدروس الخصوصية، وفقدان المدرس لهيبته، وفقدان المدرسة لماهيتها، وانتشار الفساد في المجتمع بسبب المسئولين والقادة، وتلاشي دور الفرد إزاء هذا الواقع المتأزم، فهو لا يشعر بحرية أو عدالة، إنه مصاب بالكبت الذي سينفجر ويحدث ثورة قريبا.

الرواية تشير إلى الأخلاق الفاسدة وما يترتب عليها، فمثلا نجد المهندس نظمي الذي يدخل السجن بسبب الرشوة، وما ترتب على ذلك من ندم وإخفاق وشعور بالخيبة بعد تركه أسرته المكونة من (الزوجة وصيفة، والأختان ريهام وهناء، فادي) تلك الأسرة التي عانت بذلك؛ إذ اتجه (فادي) إلى الضياع، بعدما تعرف إلى (رضوى) بنت رجل الأعمال (أمير سلطان) واستسلم لحبها ولجمالها؛ فترك دراسته، وانضم إلى الشلة الفاسدة التي يتزعمها (رامي السياف) الذي يمتلك فيلا ويستخدمها لانتشار البغاء، وهذا الضياع تولد من عدم مراقبة رجل الأعمال لابنته، وسفر والد رامي إلى الإمارات للعمل هناك واستمرت هذه الأوضاع الفاسدة وكانت النتيجة طبعية جدا؛ إذ سرق رامي نقود والده من البنك؛ ليصرف على تلك الشلة، وتم القبض عليه هو وشلته بعد التبليغ عنهم، وعندما عاد (والد رامي) وعلم بما حدث من ابنه أخذته الدهشة والريبة والانكسار والحسرة، وكذلك الأمر مع المهندس نظمي الذي توفي بعدما علم أن زوجته رفعت عليه قضية طلاق وهو في سجنه، وأيضا (والدة رضوى – تماضر) التي كانت تتعالى على زوجها وعلى الناس؛ نظرا لأنها ابنة رجل أعمال ثري؛ فكانت نتيجتها أنها قد صدمت في ابنتها (رضوى) التي تزوجت عرفيا بل حدث ما هو أغرب من ذلك، ظهر

ريبة فادي في أن ولده لا يشبهه، وأخذ يشكك في نسب الطفل إليه وقال - بانتهازية - إنه سيعمل تحليلا ليكشف الحقيقة، ويستغل هذا الموقف ليطلب من رامي المقابل حتى يسكت، وتستمر الرواية في إبراز هذه الأمور المتشابكة، التي تحدث صراعا يعطى للرواية رونقها.

وتتحدث الرواية عن السخرية – من بعض الشخصيات – من الأخوان المسلمين، وكذلك زواج وصيفة من رجل الأعمال (أمير سلطان) وترك زوجها (نظمي) في السجن يعاني مرارة الغربة، كما تشير الرواية عن طريق السخرية إلى كثير من الأوضاع التي ظهرت في الشارع المصري، فمثلا نجد اللامبالاة التي اتسم بها كثير من المصريين بسبب الإهمال والفقر، وسوف أتناول تلك الإحداث من خلال هذين **الأمرين:**

الأول:- القيم الأصيلة **الآخر: الصفات المنبوذة**

أولا : القيم الأصيلة

وأعني بها الصفات الأخلاقية الفاضلة، ولاشك أن الفكرة لا تأتي جامدة؛ لذا ينبغي على الأديب الموهوب أن يمعن النظر في الأفكار فيظهرها من خلال وجدانه إلى مشاعر إنسانية؛ تلك المشاعر التي تهتم بها الأعمال الأدبية – على اختلاف فنونها -، التي تشتمل على أفكار وأخلاقيات تتبلور من خلال تصوير دقيق للتجارب الإنسانية، ونقل صادق لقضايا الأمة، ولاشك أن العاطفة توجد في النثر كما توجد في الشعر، وأن اختلفت معايير كليهما، فهناك عواطف تثيرها موسيقى الشعر وجناسه، وهناك مشاعر

تثيرها معاني الشعر، وهناك أدب يثير لذة حسية كالميل إلى النساء، وهناك أديب يثير شعورا أخلاقيا كالإعجاب بالبطولة، واحتمال الآلام في سبيل أعمال جليلة قيمة(١).

وتعني الدراسة بالأخلاق، تلك القيم الأصيلة التي يستدعيها الأديب؛ حتى يتحلى بها الإنسان فينطلق المجتمع إلى الأمام ولاشك أن الكاتب يحاول – كثيرا – إخضاع كتاباته لما يفرضه عليها المعتقد الديني والعرف الاجتماعي في بعض الأحيان؛ وذلك لأن الأديب يسعى لتضمين أدبه ما يحتمله من قوانين أخلاقية فيتقيد بها الأدب حسب ما يتصف به من المشاركة بالفكر والعاطفة في القضايا الاجتماعية والوطنية والسياسية والأخلاقية.

ومن هذه الصفات نجد نشدان الشخصيات للعدالة الاجتماعية التي اختفت في مجتمعنا

وكان ذلك في الحوار الذي حدث بين فادي، رضوى، حاتم، ويستخدم الكاتب أسلوب الاستفهام الذي يدل على التعجب عندما يقول حاتم : " إننا نبحث عن العدل الاجتماعي ليحل مشاكلنا .... فأين نجده يا فادي ؟

• نجده عند المسئولين .....فهم أولياء أمور الشعب .....وأولى بهم توفير العدل وتطبيقه .....وعلى نواب الشعب المنتخبين أن يحركوا المياه الراقدة. فضحك حاتم بصوت مرتفع وضرب كفا بكف وقال ....

• أسمعت يا رضوى ؟ ....إنه يتعشم أن يجد العدل الاجتماعي عند المسئولين ! فعلق فادي وقال:

• ننتظر ليوم القيامة إن شاء الله !! "(٢).

(١) أحمد أمين : النقد الأدبي ص٣٤ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧).

(٢) أحمد بسيوني :- بعدما تسقط أوراق التوت صـ٣٢ (مطابع حورس جرافيك، ٢٠١٠) .

النص السردي السابق يظهر – عن طريق السخرية – مدى استخفاف المسئولين بالشعب؛ لذا كان الشعب يسخر منهم، ولا يعتقد لهم صدقا؛ فهم دائما يقومون بخداع المجتمع؛ ودليل عدم اعتناء الشعب بهؤلاء المسئولين، وفقدان المشاعر بينهم، سخرية فادي وحاتم من أن العدل الاجتماعي سيأتي من خلال هؤلاء المسئولين، الذين يعتنون بذاتهم، وينتهزون سلطاتهم؛ لذا قال " ننتظر ليوم القيامة ان شاء الله " وهذا ما يدل على استحالة وجود العدل الاجتماعي عند هؤلاء المسئولين.

ومن هذه الصفات الأخلاقية – أيضا – وجود صفة الوفاء بين أسرة المهندس نظمي وبينه؛ إذ كانوا حريصين على زيارته في سجنه بين الحين والأخر، وكان " الرجل يلقى أسرته وهو حزين كاسف البال، فقد بدا يشعر بفداحة الجرم الذي اقترفه في حق زوجته وأولاده .... وكانت زوجته تحاول التخفيف عنه وذلك لإحساسها بالموقف الذي تردى فيه ...وبعد الزيارة يعودون إلى البيت وهم في غاية الحزن والأسف على ما قدمه في حق أولاده وأسرته ...وليلة الزيارة تظل عيناه مفتوحتين ولا ينام ولا تذهب صورة أولاده من خياله حتى تمر عدة أيام يبدأ بعدها في النسيان التدريجي المر ..."[1].

يشير النص السردي السابق إلى وفاء وصيفة وأولادها لزوجها المهندس نظمي، وقد أبدع الكاتب استخدامه للغة الشعرية التي أظهرت حزن الأب – نظمي – الشديد لما اقترفه في حق أولاده وأسرته؛ لذا فهو يجني ثمار ما فعله من الاغتراب النفسي والبعد عن أسرته؛ لكن الأسرة كانت تعلم أن الأب في محنة، فوقفت بجانبه،لتشد من أزره في تلك الشدة التي يمر بها.

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ٣٨ .

واستمر الكاتب في إبراز تلك الصفات الأخلاقية، وقد أظهر براعة فائقة عندما استخدم تلك الصفات على لسان الشخصيات الإيجابية تلك الشخصيات التي تعد من أهم وأثري الشخصيات؛ إذ إنها هي التي تشارك في صنع الأحداث، تاريخية كانت، أو اجتماعية، وكذلك لأنه عن طريقها يستطيع الأديب إظهار رؤيته، ولهذا يقول "**عبد الفتاح عثمان**" بأن الشخصية الايجابية هي الشخصية التي " تتميز بقدرتها على صنع الأحداث والمشاركة في تطورها، واغتنام الفرص التي تسهم في تشكيل حركة الحياة والتأثير فيمن حولها من الشخصيات، واتخاذ مواقف ايجابية في انفعالاتها ومشاعرها ومواقفها من الآخرين، والحسم في القضايا المعلقة بعيدا عن التردد والميوعة الفكرية والعاطفية، التي تصيب الشخصية بالترهل، وتفقدها وزنها، وقيمتها في صياغة الأحداث "(١).

ومن هذه الشخصيات، "**نور** " الذي يعمل معيدا وهو ملتزم في حياته وقد أثر في غيره، وقد حاول ذلك مع " رضوى " تلك الفتاة المستهترة " التي قابلت نصح " نور" – لها بالسخرية والاستهانة عندما سألها فادي قائلا : " – هل سالك عن شيء ؟ فقالت في غير مبالاة ...

- إن هذا المعيد من الجماعات إياها .... اسمه نور .
- ماذا قال لك ؟
- لقد علق على لبسي ونصحني بالاحتشام
- وضحكت وقالت ...

(١) عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية صـ١٢٠(ط مكتبة الشباب، القاهرة، د٠ت).

• تصور !! .. طلب مني أنا الاحتشام !! "[1].

وقد تعللت رضوى بدوافع واهية عندما قالت لفادي : إن مثل هذا المعيد " لا يشاهد ما يجري في الدنيا في هذا العصر !! .. بالتأكيد لم ير مشاهد أغاني الفيديو كليب ...أو بعض الأفلام والمسلسلات على الفضائيات ..هو نائم !! ..الدنيا اتغيرت يا فادي ..فاهم ! "[2].

نشاهد في النصين السابقين مدى استهتار تلك الفتاة التي لاتعى ماتقول، فهي دائما مانراها شاردة في خيالات وأوهام ولا تريد – مثل غيرها- الإيمان بالحقيقة؛ وذلك على الرغم من وجود شخصيات مضيئة تريد الأخذ بيدها من الانكسار والانهيار إلى الرقي والازدهار.

ومن هذه الشخصيات الإيجابية " **نبيل** " هذه الشخصية المحترمة التي أثَّرت في " **ريهام** " **بنت** "**وصيفة** "، فكان يعطي لها الكتب الدينية، التي أثرت فيها، فبدأت تصلي وتهتم بالالتزام في الوقت الذي نرى فيه انتشار الرذيلة... إلخ، وقد عبرت ريهام عن شخصية نبيل في الحوار الذي دار بينها وبين أختها " **هناء** "

" عادت ريهام من الكلية ولما استراحت حكت لأختها هناء عن حديث نبيل معها وكيف أنه شخصية متزنة.

فقالت هناء.٠٠

• يعني مؤدب.٠٠ ولا من إياهم !!

---

(١) أحمد بسيوني : بعد ما تسقط أوراق التوت صـ٤٠-٤١.

(٢) السابق نفسه صـ٤١.

• مؤدب جدا ياهناء.٠٠ تصوري لقد دعاني إلى صلاة الظهر في مصلى الطالبات بالكلية !!

• وصليت !!

• طبعا

• لابد أنه ملتحي من الجماعات !!

• بالفعل هو ملتحي.٠٠٠ لكنه أخبرني بأنه لا ينتمي لأية جماعة أو أي تيار فكري أو دينيي "(١).

والدراسة تأخذ على الكاتب عدم الإكثار من هذه الشخصيات الإيجابية المضيئة، التي تخلق الأمل لدى المتلقي، ولعل السبب في ذلك انشغال الكاتب واهتمامه بالأمراض التي استشرت في المجتمع.

ومن الصفات القيمة، خوف ريهام على أختها هناء، بعدما شعرت بتقصيرها في مذاكرتها " وفجأة رن موبيل هناء.٠٠ واستمرت المكالمة لفترة طويلة ولما انتهت قالت لها ريهام٠٠٠

أنا ملاحظة ياهناء.٠٠ أن مكالماتك كثيرة وطويلة !!.٠ أليس ذلك تضييعا للوقت وأنت في مرحلة العبور للجامعة ؟

• يابنتي يسرا زميلتي كانت تشرح ليه نقطة غامضة في الفيزياء.

• في الموبايل !.

• هي ماصدقت إن عندي موبيل وانهالت على مكالمات.

---

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١١١.

اهتمي بمذاكرتك ياهناء أمنا مشغولة وأخونا مشغول وكل واحد منا ولي أمر نفسه.

• فاهمة ياريهام !!.. "[1].

وتصف ريهام بالأثر النابع من تعاملها مع " نبيل " عندما طلب منها الصلاة مع الطالبات المتعودات على ذلك في مصلى الكلية، فقال المؤلف مبينا ذلك " ولأول مرة تحس ريهام بالسكينة والاطمئنان وعادت أكثر نشاطا وعزما على مواصلة باقي المحاضرات ...إنها لم تتعود في بيتها على الصلاة إلا في شهر رمضان ...فإذا مضى رمضان عادت سيرتها الأولى إلى ترك الصلاة وإهمالها "[2].

ومن الصفات القيمة – العمل، وقد ظهر ذلك في وصيفة ، إذ تحملت العبء كاملا بعد سجن زوجها، فوجدت المطالب كثيرة من أولادها وأحوال الحياة دائما في تنامي؛ لذا وافقت على العمل المقدم لها من رجل الأعمال أمير سلطان.

والدراسة عندما تاخذ على الكاتب عدم اهتمامه بهذا الاتجاه، إنما تقصد الرغبة في الدعوة إلى وجود هذه النماذج المشرقة، تلك النماذج التي دعا الشعراء إلى وجودها، بل أظهرت أن أي أمة لم تتقدم إلا إذا صلحت الأخلاق، فيقول " أحمد شوقي "

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ** فقوم النفس بالأخلاق تستقم

فبالأخلاق تبقى الأمم عزيزة قوية، وبدونها تتلاشى الأمم ويعبر " شوقي " عن ذلك فيقول :

نما الأمم الأخلاق ما بقيت ** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ١١٣.

(٢) أحمد بسيوني .بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٠٩.

" الصفات اللاأخلاقية "

مما لا شك فيه أن " الفضيلة والرذيلة تتنازعان القلب البشري، فإن أعيت القلب التربية الصحيحة والمباديء القويمة، استقوىٰ علىٰ الرذيلة وساد بتلك وداس هـذه، وإلا هبطت به الرذيلة إلىٰ درك الشقاء، فللفضيلة أنصار كما للرذيلة، ولكل نصير وجزاؤه من نوع عمله[1].

وقد استطاع الكاتب بفكره اللماح أن يكشف – من خلال رؤيتـه الثاقبـة – عـن تحكم الغريزة – إلىٰ حد ما – في تصرفات البشر، عندما يحـدث اهتـزاز في كيـان البنيـان الاجتماعي، هنا تجنح بعض الشخـصيات المريـضة إلىٰ اقتنـاص الفـرص، محاولـة منهـا لتخطي واقعها المر لكي تشبع رغبتها التي أضناها الحرمان؛ ولأجل ذلك تـضحي بقـيم الشرف والعفاف والكرامة.

ومن المتعارف عليه أن الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية قد بلغـت ذروتهـا؛ حيث السلطة - والمسئولون – التي وقفت لكل نزعة أخلاقية سواء أكانـت سياسـية أم اجتماعية أم فكرية؛ حتىٰ يظل الشعب قابعا في تخلفه، وقابعـا تحـت الأخـلاق الفاسـدة والوافدة – التي لا تتفق مع أخلاقنا ومبادئنا الصحيحة التي أقرها الإسلام وأمرنا بها.

وقد استطاع الكاتب – من خلال روايته – إبراز تلك الـصفات المنبـوذة؛ لـيعلن سخطه علىٰ تلك الأوضاع التي ورثت المجتمع الفقر والمرض والجهل، وقد غرست هذه الصفات في نفـوس الـشعب مفاسـد وعـادات وافـدة، وتقاليـد منفـرة بـددت محاسـن

(١) أحمد إبراهيم الهواري : نقد الرواية في الأدب المصري الحـديث في مـصر صــ٤٩ (دار المعـارف، ط٣، ١٩٨٦)

الأخلاق، وأضعفت الوازع في القلوب، وأخذت بالمباديء والقيم إلى الخلف؛ فكانت الرواية صورة حية نابضة بما ألم الشعب من فساد خلقي.

ومن هذه الصفات التي أبرزها الكاتب، صفة التبرج الذي يصل بصاحبه إلى انتشار البغاء وتعد هذه الصفة من الافات التي استشرت بصورة مرزية في مجتمعنا الحديث، وسببها كان تغلغل المدنية الغربية بشرورها؛ فقد تهافت الشباب على مفاتنها وقبائحها دون اكتراث، وتسبب في ذلك ارتفاع مؤنة الزواج، وبعد الشباب عنه، وهذا ما نتج عنه انتشار ذلك الداء الجسيم.

وقد عبر الكاتب عن هذا التبرج في وجهة نظر فادي، فيقول الراوي : " وكان فادي يحس بحاجته الملحة أحيانا لتغيير ملابسه لكي يظهر بين زملائه وزميلاته ... الذين كان كثير منهم يتنافسون في عروض الأزياء للفت النظر والاستعراض وخصوصا بين فئات البنات .."[1]، ثم يؤكد الراوي ذلك بقوله : معبرا عن مشاعر فادي نحو (رضوى) " وكان من الصعب على مثله أن يتصور أن مثل هذه الفتاة الحسناء طالبة جامعية ..وكيف وهي بهذه الصورة الصارخة !! . إن مكانها الحقيقي بين الشهيرات من الفنانات والممثلات .."[2].

وقد سبق أن (رضوى) قد تهكمت من المعيد (نبيل) عندما طلب منها الاحتشام، فسخرت منه، وقالت لفادي : تخيل أنه يريد مني أنا الاحتشام !، إنه لا يعرف شيئا عن الحياة المعاصرة، فقد تغيرت الحياة تماما يا فادي.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٣ / ١٤ .

(٢) السابق صـ ٩ .

إن هذه القضية قد شغلت الفكر المصري، حتى أضحت من القضايا المهمة، ودليل ذلك دخولها الميدان الأدبي، واختلاف وتباين الآراء تجاهها، فهناك من يناصر هذه القضية ويدافع عنها؛ بدعوى شعار المدنية والحضارة، كما كان هناك من يرفضها، ويبين أن لجوء الكتاب اليها يؤدي إلى نفور المتلقي؛ لذا يجب على الروائي أن يكون حذرا في تعامله مع الغريزة؛ لأنها تجرح الذوق الفني للمتلقي، فضلا عن أنها لا تتفق مع مبادئنا؛ وأقصد بذلك كله أن الروائي يجب عليه البعد عن الألفاظ المبتذلة في وصف ما يحدث في المجتمع.

وقد وفق كاتبنا في روايته؛ إذ أشار إلى الفساد الاجتماعي، دون أن يجرح الذوق الأدبي والفني للمتلقي. وقد كانت (رضوى) مثالا صارخا في هذه الرواية لهذه الصفة المنبوذة، وظهر ذلك في حوارها مع فادي، عندما طلبت منه أن ينضم إلى الشلة التي تنتمي إليها " – إسمع يا فادي .. إن لي شلة مسلية أحبك أن تتعرف عليهم ..

- طلبة ولا طالبات !!
- من الجنسين .. يا جميل .. هل يستغني جنس عن الاخر ؟
- من كليتنا !!
- تشكيلة من بعض كليات الجامعة
- ياه !!
- لا تنزعج !! عدد محدود جدا.
- هذا كثير يا رضوى !!
- سيأتي الوقت وتتعرف عليهم .. لأنهم معي ليل نهار .. إنهم شلة أنس سيعجبونك.

فاتسعت عيناه في دهشة قال ..

• ليل نهار !! ...وهل تتقابلون ليلا ؟

• ولم لا ؟ إن أحلى الأوقات سهرات الليل ...."[1].

واستمر الكاتب في توضيح هذه الصفة بهدف التغيير الاجتماعي أملا في إيجاد مجتمع فاضل مثالي يضيء جوانب الحياة المصرية بالعلم والتسلح بالإيمان القوي، لذا كانت النهاية في هذه الرواية مثيرة جدا؛ إذ توفيت تماضر، إزاء اتهام فادي لابنتها رضوي بأن حفيدها ليس من فادي وإنما من رامي السياف، وكذلك الفضيحة التي انتابت فادي ورامي السياف بعد إطلاق كليهما النار على صاحبه، فوقعت الصور البذيئة على الأرض، تلك الصور التي كان يصورها (رامي) بين ما يحدث في غرف النوم من فحش وبغاء، فرأى الناس هذه الصور وكانت النهاية المؤلمة لأولياء أمور الشباب والناس جميعا ومن تلك الظواهر الاجتماعية التي استشرت في المجتمع، ظاهرة الرشوة، وجسد الروائي ذلك في شخصية المهندس نظمي الذي دخل السجن من عامين " لأنه تورط في تقرير هندسي كي يتقاضى رشوة من أحد الأثرياء ...وفي التقرير أثبت أن العمارة التي تمت معاينتها سليمة وليست آيلة للسقوط، ولسوء حظه انهارت العمارة بعد مرور ثلاثة أشهر على كتابة التقرير ...لقد أغراه هذا الثرى بمبلغ كبير ...[2].

يشير النص السردي السابق إلى أن قدوم نظمي إلى الرشوة كان بسبب المال والحالة الاجتماعية التي يعيشها، تلك الحالة التي لا يستطيع بسببها – حسب قوله – ادخار ما يمكن له ولأولاده، لكن الراوي يظهر بعد ذلك أن المال الحرام – دائما – لا ينفع صاحبه،

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٣٤ .

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٢ .

فهو يعد وبالا عليه، وعلى المرء الابتعاد عنه؛ لأن هذا المال سيكون سوءة يعاب عليها الفرد، وهذا على حد قول البارودي في قصيدته (طيف سميرة) :

ولكن أبت نفسي الكريمة سوءة ** تعاب بها، والدهر فيه المعاير

ويدلل الراوي على ذلك بقوله : " وبدأت حياة الأسرة من بعده تتعثر، فعلى الرغم مما كانا يتقاضاه أبوه من رشاوى إلا أنه لم يدخر لهم شيئا للزمن .. فقد أدمن التدخين، وتعود الجلوس على المقاهي إلى وقت متأخر من الليل، حيث كان يلتقي بأصحاب المصالح والحاجات الذين يريدون لقاءه للاتفاق معه على إنجاز أعمالهم عنده ..وأصبحت أمه بعد سجن أبيه في حيرة من أمرها. كيف تدبر بيتها ؟ !! .."[1]. فالنص السابق يبرز أن المال الحرام – بحق – لا ينفع صاحبه ودليل ذلك أن (نظمي) دخل السجن من أجل الرشوة ؟ ومع ذلك لم يستطع ادخار شيئا من هذا المال الحرام إلى أولاده؛ حيث لا قيمة لهذا المال فعلا، وكان ذلك دعوة من الراوي إلى البعد عن تلك المفاسد الخلقية التي تؤدى إلى الانهيار في جميع أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرهما ..

والرواية تظهر لنا مدى استخفاف بعض الشخصيات بالمباديء، فمثلا نجد " أمير سلطان" يعتقد أن هذه الرشوة تعد إكرامية، وهي عرف متداول بين جميع المصالح ويحاول مرارا إقناع تماضر بوجهة نظره تجاه الرشوة، لكن الدراسة تقف ضد هؤلاء الذين يستبيحون أي شيء، ولو ظل الأمر على ذلك، لن نجد مباديء نستطيع الاعتماد عليها؛ لأنهم سيقفون ضد تلك المباديء بحجج واهية؛ ليقنعوا ذاتهم بما يفعلون، فتقول

(١) أحمد بسيوني. بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٣ .

" تماضر " : " لولا الحمل وخوف الفضيحة ما وافقت أبدا على هذا الزواج غير المتكافيء .. أبوه مشرف في السجن بسبب رشاويه وبلاويه !!، فضحك الرجل وهو يحاول أن يمتص نكدها وكبرها وقال لها ....

• الكل يمد يده ولا يعتبرها رشوة ...أنهم يقولون عنها اكرامية ..لقد صارت عرفا في المصالح والمؤسسات بل في الوزارات ...ولولا أن حظ أبيه العاثر تربص له بعد انهيار العمارة ما اكتشف الناس أمره وما حدث له شيء ..."[1].

ومن الصفات اللاأخلاقية التي رصدها الكاتب، ظاهرة الإسراف في الإنفاق من مال الدولة، وما يتبعه من سرقة؛ تؤدي إلى فقر الشعب وازدياد احتياجاتهم، فتصف لنا وصيفة استقبال وزير الصحة لديوان عام المحافظة حتى يتسنى له الوقوف على نشاط المسئولين في قطاع الصحة في مجال مكافحة انفلونزا الطيور، وتبين وصيفة البذخ في الاستقبال من خلال حوارها مع ابنها : " لقد سمعت أن هذا الاستقبال رصدوا له ربع مليون جنيه.٠٠ فقال ابنها منزعجا

• ربع مليون جنيه يا ماما !!

• سمعت هذا الرقم. بل إن البعض قال إنه نصف مليون جنيه.

• ياسلام يا ماما ما أحوج البلد إلى هذا المال، ليحل على الأقل مشكلات الشباب العاطل، والذي يمشي على وجهه متسكعا في الشوارع. منتقلا بين المقاهي والأندية في غير طائل "[2].

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٨٤ / ١٨٥ .

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـــــ٢٧.

ثم تجسد وصيفة تلك الظاهرة التي يتولد من خلالها السرقة بقولها : "- إنت فاكر أن هذا المبلغ صرف كله !

• ألم تقولي أنهم صرفوه لاستقبال الوزير ؟

• جرت العادة يا شاطر ألا يصرف المبلغ كله.٠فهم يصرفون جزءا ويستبقون لأنفسهم جزءا.

• لمن يذهب المبلغ المتبقي ؟

• لأنفسهم.٠٠٠ "[١]، ثم تبين أن هؤلاء المسئولين أذكياء في الخداع والنفاق والكذب بقولها "الفواتير والمستندات عندهم جاهزه لتسوية المبلغ بالمليم "[٢]، وكان ذلك من خلال إجابتها لفادي الذي قال لها " ويفعلون ذلك دون أن يحاسبهم أحد !! "[٣].

وتظهر وصيفة تلك الآفة المستشرية في المجتمع المصرئ أكثر من مرة؛ معبرة بذلك عن استيائها لهذا الواقع المؤلم؛ الذي ساد فيه هذا الفساد الاجتماعي، فيقول فادي: " ألا يكتشفهم أحد ؟ فضحكت أمه وقالت.٠٠

• يا حبيبي من يكتشف من. ومن يدري عن من ؟ "[٤]، وهنا نرئ الابن يوضح لأمه أن سبب ذلك كله الفقر الذي يعاني منه المجتمع، فيقول : " تعرفي يا ماما أن الدخول المحدودة للموظفين سبب أساسي في هذا التلاعب الذي يحدث بين الموظفين٠٠ ويجعلهم يختلسون.

• أبوك كان ضحية الحاجة التي أدخلته السجن

---

(١)(٢)(٣)(٤) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـــــ٢٧ / ٢٧ / ٢٧ / ٢٨.

• يعني هل هذا تبرير يا ماما ؟

لا يا فادي.٠٠ عندك حق.٠٠ بدليل إن فيه أناسا شرفاء لا يمدون أيديهم ولا يرتشون[١]

ويرصد لنا الراوي المفارقة في نصه الروائي، عندما يعاني (حاتم) من ظروفه الاجتماعية؛ إذ تقوم أمه بغسيل كلوي مرتين في الأسبوع، وظروفه لاتسمح بسبب أوضاعه الاجتماعية البائسة، يرصد الروائي ذلك في الوقت الذي تحدث فيه الرشوة والمصاريف الباهظة لاستقبال هؤلاء الوزراء، فتقول (رضوى) لـ (حاتم) " لماذا لاتدخلونها مستشفي خاصة ؟

فضحك عاليا وقال

• من أين لنا يارضوى ؟.٠٠ من أين ؟.٠٠ العين بصيرة واليد قصيرة !!

• لكن كيف تدفعون لها تكاليف الغسيل ؟

• علىٰ حساب التأمين الصحي.٠ إنه حسنة من حسنات الحكومة تنفع المواطنين المعذبين في الأرض.

فعلق فادي وقال.٠٠٠

• نعمة ولعلها تدوم.٠٠ لقد سمعت أنهم ينوون خصخصة التأمين الصحي.

• يا ابني.٠٠ فال الله ولا فالك.٠يعني الناس تموت !!

لا دخول كافية.٠٠ ولاعلاج ميسر !!.٠٠ ولاحل لمشاكل الناس !!

فقال فادي في استياء.٠٠

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـــــ٢٨.

- شيء مؤلم أن يصاب الانسان بكارثة أو مرض ولا يجد المال الذي يواجه به الظروف الحرجة !!.
- فقال حاتم في حسرة
- هذا نصيب شعبنا.. وليس علينا الصبر "[1].

النص السردي السابق كناية عن الظروف المؤلمة التي يعيشها المجتمع، ويعبر عن الحسرة لعدم استطاعة هذا المجتمع في تغير هذا الواقع شديد القسوة.

ويوضح الكاتب – من خلال وصيفة – أن المال له أهمية كبيرة عند الشعب لدرجة أن الشباب يستطيعون نسيان أي شيء مقابل هذا المال، فعندما تأخرت (وصيفة) في عملها الجديد مع (أمير سلطان)، نجد احتجاج ريهام وهناء على تأخرها، فقبلتهما " ووضعت في يد كل واحدة منهما ورقة بمائة جنيه.. فنسيا كل شيء وشكراها.. وطلبا منها مشاركتهما العشاء فأخبرتهما أنها قد تناولت العشاء "(٢).

ويوضح الكاتب كره الناس للمسئولين الذين اهتموا بحياتهم الخاصة؛ لذا كانوا ينظرون إلى موكب الوزير والحاشية في بلاهة وعدم اكتراث؛ لأنهم يعلمون بخداعهم ونفاقهم " فالبطالة في تفاقم والشباب عاطل والعنوسة في ازدياد، وكساد الاقتصاد ملحوظ، وتدنى الإنتاج قادم وزيادة الأسعار هم الفقراء، وضالة الدخول بؤس العاملين والوعد المعسول حلم اليقظة للمنتظرين.

---

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٠٦.

(٢) المصدر السابق صـ ٣١.

كل ذلك شاهد على أن الناس محقون في بغض المواكب التي لا يتحقق من ورائها إلا تعطيل إشارات المرور ووقف حال الناس من أجل عيون الضيف الكريم ومرافقيه.. "[1]. ثم يظهر الكاتب مدى الحسرة التي اتسم بها الشعب بسبب هؤلاء المتخلفين، الذي نجد منهم من يبني الأبراج، ويقيم الشاليهات الفخمة على الشواطيء، فهم " يعيشون حياة مترفة ومرفهة على حساب الكادحين المكدودين الذين يحصلون على رغيف الخبز بالعناء التام، فيجرح ذلك مشاعرهم بما يرونه من سفه وتبذير، بينما هم مدينون ومرهقون ولا يجدون في أحياء كثيرة ما يواجهون به ضرورات الحياة اليومية "[2].

ويبرز الكاتب كذلك هذه الآفات في روايته، فيتحدث عن ضرر الإهمال واللامبالاة، فمثلا وصيفة التي تعمل أكثر من عمل وتهمل الأولاد لأجل المال، نجد ضياع ابنها (فادي) – بسبب عدم المحاسبة – الذي يرسب في كليته، وينضم لشلة (رضوى) الفاسدة، ويتزوج منها عرفيا، ويعبر الراوي عن ذلك بقوله : " أمه كانت تعمل في ديوان عام المحافظة ليل نهار، وطبيعة العمل في العلاقات العامة لا ينتهي ولا يتوقف معظم أيام السنة إعدادا وتجهيزا للمؤتمرات والاحتفالات والمناسبات.. وكان ذلك يتم على حساب استقرار أسرة مدام وصيفة.. "[3].

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ ٢١.

(٢) المصدر السابق صـ ٢١.

(٣) المصدر السابق صـ ٣٨.

ويظهر الروائي تلك الظاهرة من خلال (أمير سلطان) الذي انشغل بأعماله عن أسرته، فكانت النتيجة ضياع مستقبل ابنته، التي لجأت إلى الاهتمام بالشكليات؛ لأنها لم تجد من يؤنبها أو يوبخها، وهنا يقول الراوي : " كان أمير سلطان غافلا عن حياته الأسرية لانشغاله بتجارته وأعماله التي نمت وكبرت وتوسعت، وكانت في حاجة دائمة إلى من يتابع نموها وعدم تعثرها في السوق. ومن هنا انشغل بأعماله وكان لا يعلم شيئا عن ابنته رضوى. "[1]، وعندما قبض على رضوى وفادي، قام المأمور باستدعاء وصيفة، وقال في حسرة : " للأسف الشديد أنتم من خيرة الناس في المجتمع.٠٠٠ لكنكم تركتم أبناءكم ينحرفون دون أن تراقبوهم أو تعرفوا أين يذهبون !!.٠٠ وأين يبيتون؟!! "[2].

وينتقل الروائي إلي رصد ظاهرة أخرى وهى النميمة، التي لا توافق ديننا ومبادئنا؛ لكنها للأسف استشرت في مجتمعنا، عندما تم اختيار (وصيفة) لتكون همزة الوصل بين أمير سلطان والمحافظة، وقد كانت " التعليقات منهم تلاحقها في كل آن بما يوافق صدر قائلها ونفسيته.٠٠ فكان منهم من يقول.٠٠٠

- ياعم الناس حظوظ وبخوت.٠٠ وبختها من السما !!
- سبحان الله !!.٠ لماذا اختارها هي بالذات ؟
- يابختها !! أمير سلطان لن يعطيها أقل من خمسمائة جنيه في الشهر !! "[3].

---

(١) أحمد بسيوني: بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١٣٢.

(٢) المصدر السابق صـ ١٣٢.

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١٤٩.

النص السردي السابق يوضح تلك الظاهرة؛ حيث إنه قد وجد زملاؤها في ديوان المحافظة يحسدونها على وظيفتها المسائية التي جاءتها من حيث لا تحتسب.

ويتابع الروائي تناوله لتلك الأمراض الاجتماعية، فيظهر افة الكبرياء التي تملكت من (تماضر) زوج أمير سلطان، وأوضح الكاتب أن هذا الكبرياء كان سببا في بعد زوجها عنها وارتباطه بوصيفة وتزوجه منها عرفيا، وقد ذكر أمير سلطان لوصيفة كبرياء تماضر، وقال لها إن زوجه قد أقامت حواجز عدة بينهما؛ نظرا لتعاليها، فزوجها كان يعمل في الشركة التي يمتلكها والدها كما كانت تماضر " تشمخ بأنفها وتعامل أسرة العريس بكبرياء واستعلاء، مما جعل مدام وصيفة تحس بالإهانة. "[1].

ويظل الكاتب مستمرا في توضيح تلك الظواهر الفاسدة التي تأخذ بالمجتمع إلى الوراء؛ فيبين صفة الانتهازية من خلال شخصية فادي، الذي يذهب إلي رامي ويطلب منه مقابلا من المال حتى لا يفضح (رامي)؛ الذي وقع في الفاحشة مع رضوى، وهدده أنه سيطلب من المحكمة تحليل DNA ، فكان موقف رامي مضطربا، وظل يحدثه ويقول : " – ياغبي إنت عارف إننا حكم علينا بأحكام سجن مع وقف التنفيذ.٠٠ فإذا دخلت المحكمة برجلك وثبت ضدك شيء فسينفذ عليك الحكم الجديد والقديم.٠٠ " " فرد فادي في برود وقال.٠٠٠

• إن أردتني أن أسكت.٠٠ فلابد لهذا السقوط من ثمن.٠٠ثمن يناسب الجريمة !!، فالولد شبهك الخالق الناطق.٠ وهذا ماشجعني على المجيء إليك.٠٠

فشهق رامي شهقة غيظ وقال.٠٠٠

(١)أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١٨٩.

• اه ياندل.. ياسافل !!. طول عمرك انتهازي دنيء يا أخي صون جميل الأب المحترم..زوجك بنته وأنت حافي عريان. والآخر ناوي تفضح بنته ياندل !!.. "[1].

ويزداد التعجب من موقف فادي الذي يرغب في الإشهار بزوجه لأجل المال إذ يقول لرامي :

• " – اسمع إنت الجريمة لابساك.. لابساك..وإن لم تعطني ثمن سكوتي. ساحول مقابلة والدتك وأحكي لها عن كل شيء وأنت حر !! "[2].

وهنا وجد رامي أن (فادي) لن يتخلى عن موقفه فقال له : " – تعال وهات من الاخر وقل لي كام يلزمك ؟

• صحيح واعرف وزن الفضيحة. مائة ألف جنيه عدا ونقدا. [3]

وفي الوقت الذي نلمح من خلاله انتهازية فادي، نجد أن (رامي) كان يتسم هو الآخر بهذه الانتهازية، فقد عمل على تصوير فادي ورضوى وغيرهما أثناء وضعهما الفاحش في الفيلا، وبدأ في مساومة فادي حتى يعطيه هذه الصور، وظهر لنا ذلك من الحوار الذي كان بينهما؛ إذ قال رامي : " – طبعا إنت في الانتظار وكذلك قلق لأنك تنتظر أن تاخذ منى بعد دقيقة خمسين ألف جنيه .....

• خلصنا وهات المبلغ.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق صـ ٥٣.

• لا تتعجل ياحبوب.٠ لقد جئت لك بالمطلوب.

وأخرج من حقيبة معه مظروفا سلمه لفادي .٠٠ فأخذه فرحا وفتحه ليطمئن على المبلغ.٠ ومد يده فأخرج مجموعة من الصور الفوتوغرافية ورأي في هذه الصور.٠ ويا هول ما رأي !!.٠ صورا عارية له مع بعض بنات الشلة التقطت أيام الانحلال٠٠ ورأى صورة زوجته عارية تماما مع رامي في مواضع عديدة .. فغلى الدم في وجه فادي ..."[1].

ويواصل رامي تهديده لفادي فيقول : " – لو عملت أي حركة نصف كم سأسلم هذه الصورة لنسيبك رجل الأعمال الهمام .. بل سأقول له أنني والد وسام ولست أنت، وأنا أحق به منك... وعندها سيدفع لي ما أطلب حرصا على إخفاء الفضيحة أمام الناس ..وربما أطلب منه مليون جنيه بدلا من الخمسين ألف نظير سكوتي ... "[2].

وفي نهاية المطاف نستطيع القول : إن بذور نقد الانحلال والفساد الأخلاقي في الرواية المصرية، قد بدأ الأدباء في تناولها بهدف التغيير الاجتماعي؛ أملا في إيجاد مجتمع فاضل مثالي، يضيء جوانب الحياة المصرية بالعلم والتسلح القوي بالإيمان، وتنمية الوعي الحضاري مسئولية مشتركة بين كل الوسائل الثقافية والفنية والأدبية، كل بطريقته ووفق ظروف الواقع الاجتماعي، ومدى تقبله لنوع ما من هذه الوسائل ومدى سيادة وسائل أخرى.

(١) أحمد بسيوني : عندما تسقط أوراق التوت صـ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) السابق نفسه صـ٢٣٦.

ولقد تعددت تلك المظاهر الانحلالية حتى شملت كثيرا من جوانب الحياة المصرية، وكان منها ما يرجع إلى غياب الوازع الديني، أو ضعفه عند بعض الفئات؛ مما يؤدي بالإنسان إلى القيام بأفعال لا تتفق مع الأسس القويمة للدين الحنيف، ولا شك أن الرواية " تكثف رؤية الأديب للواقع وإدراكه لعلاقاته، وهي بما تحمل من سمات خاصة أقدر الأنواع الأدبية على أن تجعلنا نرى الواقع المعاش للناس بالوصف المتأني والسرد الطيع[1].

ثانيا : التشكيل

لقد عرفت الرواية العربية أساليب كثيرة في بنائها الفني، وقد استمدت معظمه من الفنون الأخرى ثم استطاعت أن تخضعه إلى نظامه الخاص في الصياغة والتشكيل، ذلك النظام الذي يتميز بالحرية المطلقة " حرية الخيال، حرية الفكر، حرية التنفيذ، وهذا يتضمن حق الكاتب في عدم الرضوخ للتقاليد والقواعد، اجتماعيا كانت أو فنية، وذلك عن طريق المحاولة الذاتية لتطوير هذا الفن كنوع أدبي[2].

والأسلوب يعني طريقة الكاتب في كتابته، وقد تطور الأسلوب في بنية النص الروائي؛ نظرا لرغبة الكاتب. أو الكتاب ذاتهم. في التطوير، والأسلوب هو " اختيار choice أو انتقاء selections يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة من بين قائمة

(١) طه وادي : صورة المرأة في الرواية المعاصرة صـ٥٦ (ط٤، دار المعارف، ١٩٩٤) .

(٢) هنرى جيمس وآخرون : نظرية الرواية في الأدب الانجليزى صـ١٥٥ (الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٢) ت انجيل سمعان، مراجعة رشاد رشدى .

الاحتمالات المتاحة في اللغة [١] ويهتم الأسلوب بدراسة " الإبداع الفردي، وتصنيف الظواهر الناجمة عنه، وتتبع الملامح المنبسقة منه "[٢].

ومن المتعارف عليه أن الروائي له صوته الخاص به، وكذلك هو ينفرد في استعماله للغة، فاللغة " ملك كل الناس، ولكن ليس كل امتلاك بالضرورة إعادة ترتيب أو إعادة تنظيم .....وإنما تنظيمها بحيث تخرج في أنساق أو سياقات يتوافر فيها الجمال والقدرة على الوضوح والإبانة "[٣].

وكان على النقد متابعة تلك الأساليب التي ازدهرت في العمل الروائي؛ ليعمل على إرساء القواعد الفنية التي تساعد على تقدمه، ولا شك أن الناقد والمتلقي كان لهما الدور المؤثر دائما في ظهور أفكار جديدة واليات حديثة، قد لا تكون في خاطر الكاتب أثناء كتابته لروايته، ولتطور البنية السردية للرواية العربية، فقد ظهرت جماليات أخري لبنية النص السردي.

وقد تشكلت الاليات التي اعتمد عليها الكاتب في إبراز رؤيته عبر عناصر عدة :

(١) لوحة الغلاف

لقد اهتم بعض النقاد في المجال الروائي بدارسة النصوص المصاحبة للنص الأدبي، وقد جعل هؤلاء النقاد تلك النصوص المصاحبة نصوصا موازية ومفسرة للعمل

(١) سعد مصلوح : في النص الأدبي صـ٢٢ (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٣) .

(٢) صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص صـ١٧٩ (عالم المعرفة، رقم ١٦٤، ١٩٨٧).

(٣) صلاح عبد الصبور : مقال. تجربتي في الشعر صـ١٦ (مجلة فصول، مجلد ٢، عدد ١).

ذاته، ولا يفضل الدخول في عالم النص الروائي مباشرة قبل الولوج أو النظر فيها، ولا ينبغي تجاهل كل ما أتى في العمل الروائي بداية من لوحة الغلاف، واللوحات الخلفية، والعنوان، والإهداء، والبداية والهوامش، والعناوين الجانبية

إذ تعد هذه النصوص الموازية أهم مفاتيح العمل الأدبي، فهي تشكل رؤية مؤيدة لما يرتضيه الروائي، واعتبر هؤلاء النقاد أن هذه الاشياء إنما جاءت لتفسير العمل أو تعضيد رؤية الكاتب، ولا يجوز التفسير الاعتباطي لمجمل تلك النصوص المصاحبة. وتمثل لوحة الغلاف لنص " أحمد بسيوني " الروائي مدخلا رئيسا لتقبل وقراءة العمل؛ فتشير لوحة الغلاف إلى بنت في غاية الجمال ترمز إلى الترف والنعيم ورسومات هلامية؛ لعلها أقرب إلى الشياطين وهذه الفتاة نجدها تجلس ويدها على رأسها، وكأنها تعاني من أزمات كثيرة؛ لذا لم تستطع رفع رأسها، وهذا كله يتفق وأحداث الرواية، فتلك البنت ترمز إلى (رضوى) في الرواية؛ تلك الفتاة الجميلة التي تعلق بها فادي؛ فقد سحرته بجمالها، وكانت صاحبة ثروة كبيرة، فهي بنت رجل الأعمال أمير سلطان، وكانت تتمتع بحرية مبالغ فيها، مما تسبب في انحلالها، فقد أهملت دراستها وتعرفت إلى رامي ذلك الطالب الفاشل، الذي استغل وجود أبيه في الإمارات للعمل هناك، وجعل الفيللا مكانا للفحش والفجور، ثم تتوالى الأحداث، وتتزوج تلك الفتاة الجميلة فادي عرفيا، وتنجب طفلا أسمته (وسام)، وتتوالى الأحداث وتتصارع حتى تفاجأ رضوى بأن (فادي) يريد الذهاب لعمل تحليل ؛ فهو يشك في الطفل؛ إذ يشبه (رامي) وهنا تبدأ الصراعات بين فادي وأمه التي تنصحه بعدم الإقدام على هذه الخطوة، حتى لا تحدث أزمات، لكن (فادي) يصر على رأيه، ثم يستغل الموقف ويبدأ بمساومة (رامي) ثم

تحدث المفاجأة وهي تصوير رامي لفادي ورضوى وهما في منظر مخل بالآداب، ويحدث تصارع بين الاثنين مما يؤدي إلى وقوع الصور على الأرض ويراها الناس؛ لذا تجلس هذه الفتاة الجميلة حزينة ويعتريها الخزي والعار، لكل ما ألم بها من الفضيحة وموت أمه وشرف والدها، فكأن كل شيء قد ضاع؛ لذا فلوحة الغلاف معبرة عن مضمون الرواية.(١).

ونخلص بذلك : إلى أننا لا نعول كثيرا على تلك النصوص، فبالقدر الذي ستحاول الدراسة تفسيرها وأخذها في عين الاعتبار وبؤرة الاهتمام بالقدر نفسه لا تعد أكثر من جهة نظر قد تصيب أو تخطيء، وربما يرجع تفسير ذلك إلى أن لوحة الغلاف قد تصدر أحيانا دون علم المؤلف.

وهي عادة ما تستند إلى أحد الفنانين التشكيلين القائمين في دار النشر، ويعبر عنها حسبما تراءى له العمل الأدبي ذاته، أي أنها وجهة نظر لأحد متلقي النص قد تقترب من الشبه، وقد تبتعد في الآن ذاته، كما أنها قد تختلف من طبعة إلى أخرى للعمل الأدبي ذاته، وقد تختفي نهائيا ، هذا فضلا عن كون لوحة الغلاف قد تأتي على شكل رسومات هلامية تحتاج إلى تفسيرها نصا مغايرا أو افتراضات وأطروحات تبعد أو تقترب من جوهر النص.

(١) على سبيل المثال : عبد الفتاح الجمري : عتبات النص البنية والدلالة صـ٢٢ وما يعدها (ط١، منشورات الرابطة، الرباط، ١٩٩٦) .

(١) العنوان :

يعد عنوان الرواية مدخلا إلى عالم الرواية ذاتها، وهو السمة الأولى التي تواجهنا في ذلك العالم الروائي؛ ولهذا فيستحيل الاستغناء عن عنوان الرواية، وأي عمل روائي يفقد عنوانه، فأمر طبعي أن يفقد سمة قيمة من سمات هويته، ويغدو محل شك لدى المتلقي.

وعنوان الرواية يرتبط ارتباط وثيقا بمضمون الرواية، وهو يتكون من جملة غير تامة، وتمامها يكون من خلال جملة أحداث الرواية؛ لذا فالعنوان هنا يمثل مثيرا أصليا يستدعي العديد من الأسئلة والأطروحات التي تلقي جملة في ذهن المتلقي، ويعد هذا العنوان رمزا للفساد الواقع في المجتمع الذي سادت فيه الرذيلة، ونستطيع القول إن العنوان في هذه الرواية، لا يحمل أي إفادة عن غياهب العمل ذاته، ومع ذلك فهو يؤدي دور المثير الأصلي والدافع للخوض في المعرفة من خلال النص الروائي ذاته.

ونستطيع ان نجزم بأهمية العنوان الذي أصبح جزءا عضويا أساسيا في بنية العمل الروائي، ومع ذلك فإننا نجعله من عتبات النص الأخرى – النصوص المصاحبة – وليس من متنه بحكم انفصاله الشكلي أو الظاهري عن ذلك المتن.

(٢) البداية:

البداية تعد مكونا بنائيا يقيم مع عناصر السرد علاقة جدلية؛ إذ يؤثر فيها، ويتأثر بها؛ فهي نقطة ساكنة تقع بين طرفين؛ الواقع والنص ينطلق من خلالها الروائي إلى تفصيل رؤيته؛ لذا فهو يجسد حالة من السكون والاستقرار على مستوى السرد الروائي،

بهذا السكون يتحقق التحول نحو التفصيل وتداخل الأحداث، الأزمنة، والشخصيات بغية الامتداد بخيط السرد(١).

إن البداية ليست عنصرا منفصلا عن بنية العمل الفني كله، وإنما المحيط البنائي والتاريخي المتولد من العمل الفني كله، الخاضع لمنطلق العمل الروائي، وفي الوقت نفسه فهي عنصر لها خصوصيتها التعبيرية باعتبارها بدء الكلام، والبداية هي المحرك الفاعل الأول لعجلة النص كله(٢).

وبداية رواية كتابتنا تؤطر للأحداث التي يعتمد الكاتب على تناولها فالبداية فيها رؤية فادي لرضوى وإعجابه بها، كما ظهرت في بداية الرواية سجن المهندس نظمي بسبب الرشوة، ومن خلال هذين الحدثين نجد استكمال الكاتب لأحداث روايته كلها، فيظهر ما ترتب على إعجاب فادي برضوى من تركه لدراسته وإهماله ولا مبالاته إلى غير ذلك من الصفات التي اكتسبها بسبب تعامله مع أفكار رضوى التحررية المنحرفة وكذلك يتناول النص السردي ما ترتب على سجن المهندس نظمي من تشرد لأسرته سواء من الناحية المادية أو المعنوية.

وقد نجح الكاتب في بدايته؛ إذ كانت جيدة ومحكمة، فهي تجذب المتلقي، وتقذف به إلى عالم النص، وتعطية قدرا من المعرفة قبل الدخول إليه، وقد اتسمت البداية – هنا – بالسهولة في اللفظ والتركيب وبالأسلوب المرن الجذاب، والمعنى الواضح.

---

(١) انظر : صدوق نور الدين : البداية في النص الروائي صـ١٨(ط١،دار الحوار للنشر ١٩٩٤).

(٢) انظر : حنون مبارك : دروس في السيميائيات ص٧ (ط١، دار توبقال للنشر، د٠ت).

ومما لا شك فيه أننا لا يمكننا تصور نص دون بداية، وإن اختلفت البدايات حسب طبيعة النصوص؛ إذ إنه من الطبيعي أن يختلف الاستهلال الشعري عن القصة القصيرة عن المسرحية والرواية.

(٣) الحذف :

يعد الحذف تقنية زمنية " تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى بها من وقائع وأحداث "[١]، وكذلك يعد الحذف وسيلة لتسريع السرد؛ من خلال إلغاء الزمن الميت في القصة، ويقوم الحذف كذلك على إسقاط الزمن الذي لم تقع فيه أحداث تؤثر على سير النص الروائي فيكون " جزء من القصة مسكوتا عنه في السرد كلية، أو مشارا إليه فقط بعبارات زمنية تدل على موضع الفراغ الروائي .....كمضت سنتان "[٢].

ومن النماذج الدالة على ذلك، قول الراوي : " ومضت أيام ...وكاد ينسى أمرها حتى قابلته على سلالم الكلية ....فألقت عليه سلامها وسهامها ...."[٣]، فهنا حذف الراوي أيام مضت من لقاء فادي برضوى، تلك الأيام قد اشتملت على كثير من الأحداث؛ لكن لبعدها عن الحدث الأصيل للنص الروائي، قام الراوي بحذف هذه المدة الزمنية.

---

(١) حميد لحمداني: بنية النص الروائي صـ٥٨ (المركز الثقافي العربي للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٩١) .

(٢) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي صـ١٥٦ (الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠).

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٠.

ويظهر ذلك أيضا في قول الراوي : " مرت الأيام ....وأوشك فادي أن ينسى رضوى ...لكنها جاءته وقابلته في الفناء وجها لوجه ...وسألته ...

- أين أنت يا فادي ؟
- ضحك مستبشرا وقال ...
- في الكلية
- أعرف .. لكن ألم تحاول أن تسأل عني ؟
- في هذا ...أنا مقصر ....حقك علي. "(١).

كما يظهر الحذف كذلك في قول الراوي : " لاحظت رهام أن زميلا لها في الكلية كان يحاول الاقتراب منها أحيانا ثم يمضي دون أن يتكلم ....فلم تهتم بذلك أو تكترث ...ومضت الأيام دون أن يحدثها أو تحدثه ....حتى إذا كانت استراحه بين المحاضرات اقترب منها وتشجع وألقى عليها السلام فجاوبته في هدوء وسألها ....

- أتعرفينني ؟
- فابتسمت وقالت له ...
- لم أتشرف بمعرفتك ...."(٢).

النص السابق يحذف مدة زمنية معينة، تلك المدة التي أسقطها الراوي من السياق السردي؛ نظرا لبعدها عن الحدث الكلي للرواية.

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٩ .

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٩٤.

إن الحذف يعد من أبرز التقنيات التي يستخدمها الروائي في تسريع السرد ويلجأ إليها الكاتب لصعوبة سرد الأيام والحوادث بشكل متسلسل دقيق، وهذه التقنية تساعد على فهم التحولات والقفزات الزمنية التي تطرأ على سير الأحداث الحكائية، والروائيون ليسوا جميعا "مستعدين لترك مثل هذه الثغرات في سير القصة وبدلا من القفز فوق الفجوة بين فعل وآخر؛ فانهم يفضلون ان يحققوا قدرا أكبر من سلامة الاستمرار في القصة بحصر الزمن القصصي ضمن حدود ضيقة، فيقدمون المادة اللازمة لفهم القضية الرئيسة في القصة عن طريق إقحام لقطات من الماضي "[1].

(٤) الاسترجاع :

يعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية تجليا في النص الروائي، يتحايل الروائي من خلاله على تسلسل الزمن السردي، عندما يقطع زمن السرد الحاضر، ويستدعي الماضي بجميع مراحله، ويوظفه في الحاضر السردي، حتى يصبح جزءا لا يتجزأ من نسيج الزمن السردي " إن كل عودة للماضي، تشكل بالنسبة للسرد، استذكارا يقوم به لماضيه الخاص ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة "[2].

ومن النماذج الدالة على ذلك قول الراوي : " وتذكر المهندس نظمي مسعود قبل أن يسقط في جريمته الأخيرة بشهرين، يوم جاءه عجوز مسن، وطلب منه بناء حجرة إضافية فوق السطوح يأوى إليها ليترك الشقة الصغيرة التي يسكنها لابنه الذي عجز

(١) مندلاو : الزمن والرواية صـ٨٨ (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧) ترجمة بكر عباس.

(٢) حسن بحراوي :بنية الشكل الروائي صـ١٢١(المركز الثقافي العربي؛ الدار البيضاء، ١٩٩٠).

عن أن يوفر لنفسه شقة للزواج .. ولأن العجوز لا يملك شيئا فائضا يدفعه للمهندس نظمي، فعقد المسأله للرجل وراوغه، ثم أصدر قرارا بأنه بعد المعاينة، وجد خطورة على المبنى إذ بنيت الحجرة فوق السطوح لأن المبنى قديم ولا يتحمل "[1].

ويستمر المهندس في هذه الذكريات التي قطعت سياق النص السردي، وقد وضح لدينا أن هذا الاسترجاع، قد تضمن في فحواه حالة الفساد التي انتشرت في المجتمع، إنه يوضح حالة الرشوة التي لم يستطع ذلك العجوز دفعها لهذا المهندس، لذا راوغه وأصدر قرارا ينم عن الخداع والإيهام، فهو يقول إن السطوح لن يتحمل تلك الحجرة، وهنا يدعو ذلك العجوز عليه بقوله : (روح إلهي ربنا يرميك في ضيق ما تخرج منه بحق ما أنا فيه من ضيق)، وبفضل الله تعالى لم يمر شهران على هذه الدعوة حتى ألقى الله به في هذا الضيق الذي يعانيه في سجنه الان.

ونجد ذلك الاسترجاع أيضا في قول الراوي : " وعادت ذاكرتها إلى زوجها المهندس نظمي مسعود الذي تزوجها وهي طالبة وهو يعمل مهندسا في إدارة التنظيم بمجلس المدينة ...ووجد غيره يمد يده إلى الرشوة ...فاستسهل الكسب الحرام وشجعه المواطنون، الذين كانوا يضعون في درج مكتبه المبالغ دون أن يطلب منهم ...ثم بعد ذلك أصبح يطلب المبلغ ويحدده ...وأدى به الأمر إلى تزوير المستندات والتقارير الفنية من أجل الحصول على الكسب السريع "[2].

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٣٩.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٦.

لقد أبرز الراوي هذا الاسترجاع من خلال وصيفة زوج المهندس نظمي التي كانت مع أمير سلطان في العمل وقد طلب منها المتعة؛ لكنها رفضت وطلبت منه الحلال، وبعد ذهبت إلى منزلها؛ أعطت لبنتيها ورقة بمائة جنيه، حتى لا تلقى منهما أي أسئلة عن أسباب تأخرها عن المنزل، وفي هذه اللحظة أصبحت تتذكر ما مر في ماضيها عندما سجن زوجها بسبب الرشوة، فهنا قطعت السياق السردي، وقامت باسترجاع تلك اللحظات الماضية، التي عبرت من خلالها عن الحزن العميق الذي جثم في صدرها؛ بسبب سجن زوجها ومعاناتها في الحياة؛ بسبب تأزم وضعهم الاقتصادي، وبدأت تبرر لذاتها الدوافع التي تجعلها محقه في طلب الطلاق من زوجها.

ومن النماذج التي ظهرت فيها تلك التقنية قول الراوي : " وتذكر الأب المطعون والده وهو في بكورة صباه، وكيف أن والده كان رقيق الحال محدود الدخل ...علمه بشق الأنفس ..وكان يحس بضيق الحال ومتاعب أبيه، فكان حريصا على أن ينفق كل قرش يأخذه من أبيه في موضعه ..

وبكى الرجل وقال ...

- يارب أنا لم أفعل شيئا يغضبك .....فلماذا رزقتني هذا الولد الفاسد
- المتلاف ؟ ألكي يشوه سمعتي ؟ .....أم يبدد ثروتي ؟ .. أم يعجل بموتي ؟... "[1].

لقد استرجع والد رامي (سعيد السياف) حالة أبيه – الماضية – الاجتماعية والاقتصادية، وكيف أنه كان رقيق الحال؛ فهو محدود الدخل، إلا أنه عمل على تعليم أولاده؛ لذا كان سعيد يحرص على صرف كل قرش يأخذه من أبيه في موضعه؛ فمنحه

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٤٢.

الله ثروة كبيرة، وسبب هذا الاسترجاع ما اصطدم به عند رجوعه من الإمارات؛ حيث كان يعمل هناك؛ فإذا به يجد ابنه قد حول الفيللا إلى بيت للدعارة، فضلا عن سرقته لأموال أبيه؛ فتحسر على هذا الولد، الذي سافر من أجله، وهنا قام باستذكار الماضي، فقطع سياق النص السردي. ومن تلك النصوص الدالة على الاسترجاع أيضا قول الراوي : " وتركها ومضى إلى عمله في الشركة التي يعمل بها ....ودخل مكتبه كئيبا حزينا، وعاد بذاكرتها إلى الوراء وتذكر ما كان يحدث في الفيللا بين الشباب والفتيات ...إذ كان الاختلاط سائدا بين الجميع،، وقد رأى بعينيه رامي وهو يغازل رضوى وهي تستجيب له....وعاد الشريط به إلى اليوم الذي جاءته فيه ترغب أن تتزوجه واشترطت عليه قبل تحرير العقد ألا يحاسبها أو يؤاخذها على علاقتها مع أي شاب، وأن يتغاضى عن أي شيء ..."(١).

إن النص السابق يبين لنا تلك الفترة التي كان يشكك فيها رامي نسب ولده (وسام)؛ لأنه كان يشبه (رامي) وقد حدث حوارا بين فادي ورضوى انتهي بقولها الولد ابنك أمام الناس، هنا ذهب فادي إلى الشركة، وأخذت تتراود الذكريات والأفكار في خياله، فاسترجع تلك الأوقات التي عاش فيها مع رضوى والشلة الفاسدة، فتذكر حالة الضياع التي وصل إليها فادي، وأخذ يستدعي تلك اللحظات الفاسدة.

نخلص مما سبق أن الاسترجاع يعد مخالفة لسير السرد، تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق والاسترجاع يمكن أن يكون موضوعا مؤكدا أو ذاتيا غير مؤكد، ووظيفته – غالبا – تسليط الضوء على ما فات من حياة الشخصية، أو على ما وقع لها

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١٩٩.

من خلال غيابها عن السرد، " وهو أنواع : منه الداخلي والخارجي والمختلط، ومنه الجزئي والتام "[1].

(٥) الاستشراف :

ونعني به تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة – حتما – في امتداد السرد الروائي وبنيته وذلك على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق، وتعد الاستشرافات الزمنية عصب السرد الاستشرافي، ووسيلة لتأدية وظيفته في النسق الزمني ككل، وتكون بمنزلة التوطئة لأحداث لاحقة وقد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول اليه مصائر الشخصيات، وتكون غايتها حمل القاريء على توقع حادث ما، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات كالإشارة إلى احتمال موت إنسان، أو مرض أو زواج وما إلى ذلك؛ بحيث يتعرف القاريء إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في القصة[2].

ويعد الاستشراف – بمكانته – متجسدا في فادي، الذي يمهد الراوي لضياعة من خلال اتصافه بصفات لا أخلاقية كثيرا، مما يوحي ذلك إلى وجود نهاية مؤلمة لتلك الشخصية، ومن تلك الصفات التي اتسم بها؛ بعد تعرفه إلى رضوى والشلة الفاسدة (الكذب)، وظهر ذلك في حواره مع رضوى، عندما طلبت منه أن يحضر إلى شلتها، ورد عليها بقوله : " اتركي هذا للظروف فقالت معترضة .....

---

(١) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (مكتبة لبنان– دار النهار ط١،٢٠٠٢) صـ١٨-٢٢.

(٢) انظر : حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي صـ١٣٢ (مرجع سابق) .

• أي ظروف يا فادي ؟ ..أنت تستطيع أن توفر الوقت في الموعد إذا شئت ..هل سيمنعك والدك من الخروج ؟....

فقال لرضوى على الفور

• أبى هذه الأيام في مأمورية وأنا وحدي في البيت "[1].

ومن تلك الصفات أيضا نجد اللامبالاه التي تجسدت في فادي، فقد أصبح يتأخر عن البيت كثيرا، وفي إحدى المرات قالت له أمه : " أين كنت يا فادي حتى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

• قلقنا عليك !!

• قلبك جامد يا أخي !!

• وداخل على مهلك !!

• ولا على بالك !! ... وتعلل بأعذار واهية بأنه كان يسهر مع بعض زملائه لمراجعة مذكرة المنطق لأنها صعبة وتحتاج إلى شرح وفهم ...."[2].

ويبدأ الراويي بيان هذا الاستشراف من خلال رسوب فادي في التعليم، فيقول الراوي : " مر العام الدراسي سريعا ولم يحس به فادي لانشغاله الدائم مع الشلة ...وبالطبع رسب لإهماله وعدم اكتراثه بمستقبله، وتظاهره أمام أمه وأختيه بالاجتهاد ...فإن ما تعوده من عبث يشغل المرء عن نفسه وعن كل شيء في الحياة ....."[3].

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٤٢.

(٢) المصدر السايق صـ ٥٥.

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٨٢.

ويتابع الراوي أحداثه في تقديم فادي، وما توصل إليه، فيقول :

" كان فادي في باديء أمره مهتما بالشان الثقافي والأدبي، غير أن انخراطه في صحبة الشلة، وتوالي السهرات، وزواجه العرفي من رضوىٰ، كل ذلك قلل اهتماماته بهذا الشأن ....."[1].

وللأسف فقد أصبح فادي ديوثا، فهو يلاحظ (رامي السياف)

• يختار رضوىٰ – زوجه – ليمضي معها ليلته، وهو ناكس الرأس، فقد أصابه " الخرس الذي يصيب أي ديوث ملتاث ....ورسب فادي للمرة الثانية وأخفي الأمر عن أسرته، وأبلغهم أنه نجح ومعه مادتان رسب فيهما فقط ...."[2].

وقد تم الإبلاغ عن رضوىٰ وشلتها، وتم القبض عليهما، وتوالت الأحداث، ويقول الراوي :" وفي بيت مدام وصيفة استقبلت الأسرة ابنها المنحرف بالتأنيب واللوم والتوبيخ، وقالت أمه وهي تصرخ فيه ...

• أخرة تعبنا وشقانا وسهرنا .....تنحرف !! تعيش مع شلة فاسدة !! أصرف عليك وتنحرف !!...

يا أخي حرام عليك ...."[3].

ويبلغ الضياع مداه في نهاية الرواية، بعدما تقع الصور اللاأخلاقية، تلك الصور التي تجمع بين فادي ورضوىٰ، فيراها الناس جميعا وتقع المصيبة، وكذلك يظهر الضياع عندما أطلق رامي السياف النار علىٰ فادي، ثم تم القبض علىٰ رامي، ونقل فادي إلىٰ المستشفي وهو ينزف دما.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١١٤ .

(٢) المصدر السابق صـ ١٣٣.

(٣) المصدر السابق صـ ١٦١.

ونخلص من ذلك : إلى أن السرد الاستشرافي يتسم بميزات، منها أن المعلومات التي يقدمها السارد لا تتصف باليقينية، فإذا لم يتم قيام الحدث بالفعل، فليس هناك ما يؤكد حصوله، وهذا ما يجعل الاستشراف حسب رأي فيزخ " شكلا من أشكال الانتظار "[1].

وهذا ما يعني أنه لا يمكن الاستدلال عليه إلا بعد الانتهاء من قراءة الرواية كاملة، وأحيانا يمكن الاستدلال من خلال طبيعة سرد الأحداث وما تحمله اللغة من رموز وإيحاءات.

(٦) الحلم :

الحلم له أهمية كبيرة في النص السردي؛ فمن خلاله نستطيع الكشف عن بواطن الشخصية وتحليلها، والكاتب المتمكن هو الذي ينجح في الاستفادة من أحلامه ومن أحلام غيره فهو لا يكتفي بعرضها فحسب بل يستعين باستبطان النفس من خلالها، وقد رأى "شوبرت" أن الروح تتكلم في الحلم بلغة مغايرة للغاتنا العادية " فلغة الأحلام شبيهة باللغة الهيروغليفية، لكن الإنسان يستطيع أن يستفيد منها في بضع لحظات ما لا يمكن أن يستفيده بلغة الكلام في ساعات كثيرة، ومن هنا كانت لغة الأحلام أسرع في التعبير عن المقصود من لغة اليقظة، لأنها تتلاءم مع طبيعة الروح "[2].

وظهر ذلك في نهاية الرواية عندما بدأ يشكك فادي في نسب ابنه، وظل هذا الأمر يراوده بين الحين والآخر، فيقول الراوي : " وأرهقه التفكير وعذبته الهموم، فدق الجرس وأمر ألا يدخل عليه أحد، ونام على مكتبه من الغم والهم، ووضع رأسه فوق ذراعيه وراح في

(١) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي صـ١٣٣ .

(٢) محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية صـ ٦٨ (مكتبة نهضة مصر) .

سبات عميق ...وشردت روحه مشحونة بشكوكه، واتجهت إلى الفيللا المشئومة؛ حيث قابل رامي هناك، ووجد نفسه يهجم عليه وتخنقه بشدة ويقول له ..

- تعال خذ ابنك يا خائن ....المولود ابنك !!...ابنك !!...

وظل يكررها وهو يضغط بكفيه على رقبة رامي حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ..وأخذ يصرخ في هيستيرية ...وآفاق ليجد نفسه نائما على مكتبة في العمل ...."[1].

إن الحلم في النص السابق جسد ملجأ فنيا خصبا، اختاره الكاتب بعناية فنية للتعبير عن أزمة المغلوبين على أمرهم، فأصبح الحلم بمنزلة الإحساس بالكيان لكل من كبتت رغباتهم.

(٧) الرمز :

ويعني الرمز في اللغة الإيماء والإرشارة، وتعد الرموز وسائل للفهم والإقامة العلاقات بين الإنسان وغيره من البشر – بل بينه وبين نفسه –، والإنسان في جوهره يعد صانعا للرموز ومطلقا لها، وتاريخ الرمزية يكاد يكون هو تاريخ الإبداع الإنساني في كافة المجالات[2].

ووصف الكاتب ذلك من خلال استقبال المسئولين لوزير الصحة فهو يرمز بهم إلى النفاق، ويرمز بموكب وزير الصحة إلى الفساد واستغلال السلطة الخطأ؛ إذ يكلفون الميزانية من الأموال الغامرة؛ من أجل أن يلقي عليها الزائر الكريم نظرة عابرة ....

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٠٠.

(٢) شاكر عبد الحميد : الحلم والرمز والأسطورة صـ٧(الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨).

وفي النهاية يلقى بهذه اللافتات في مزبلة النسيان ...وتصرف أضعاف تكاليفها ليدخل الفرق جيوب المشرفين على هذه الموالد التي لا تنتهي "[1].

ويبين الكاتب عدم اكتراث الشعب بهذا الموكب، فيقول : " بينما كان الناس يمارسون حياتهم العادية لا يعنيهم من أمر الموكب شيء ...فقد مل الناس هذه الاستقبالات، وما يحدث فيها من ضجة وصخب ...فهي لا تصيب المواطنين إلا بالإزعاج "[2].

والرمز هنا واضح لا يحتاج إلى إعمال فكر، فالكاتب يبين حال المجتمع الفاسد، ومن هنا فإن النقاد قد رأوا أن لكل أديب رموزه الخاصة به، وأنه لابد للمبدع أن يحقق رؤيته الخاصة التي تتداخل وتتوافق مع المتلقين؛ ولا يستحب أن تكون هذه الرموز خاصة بكل معاني الكلمة، حتى لا يعجز الناس عن إدراكها وتفسيرها، وبالتالي يتلاشى تأثير العمل الإبداعي في المجتمع[3].

(٨) الصراع :

ونقصد به الصراع الذي ينشأ من مقابلة الأضداد المختلفة داخل العمل الروائي؛ ليثبت الروائي في النهاية الفكرة التي يرغب في توصيلها إلى المتلقي؛ لذا فالصراع يتمثل فيما يحدث من تضاد بين المذاهب المختلفة والأهواء الشخصية، أو بين العرف الواقع، أو بين الصراع الاقتصادي والقوى الاجتماعية، أو بين الماضي والحاضر؛ لذا فالاختلاف

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٠ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٠.

(٣) مجلة عالم الفكر : (عدد خاص عن الرمز والأسطورة، المجلد ١٦ – عدد٣ اكتوبر ديسمبر ١٩٨٥) صـ١٧ .

الفكري والحضاري بين الأجيال يجعل الجديد دائما بدعه، ويدعو إلى إحياء القيم الجميلة.

والصراع له دور مؤثر في الرواية؛ حيث إن وجوده يؤدي إلى " تشويش المتلقي، واثارة وجدانه، وتحريك خياله "، والصراع لون من ألوان الحبكة، وبه نجد المتلقي " يتتبع الأحداث لا يعرف ماذا بعد ؟، وإنما ليدرك معنى لماذا ؟ وكيف ؟ وبالتالي يستقطب الروائي اهتمام قارئه فكرا وشعورا وخيالا "[1].

وقد تجسد هذا الصراع من خلال كبرياء تماضر ومعاملتها لفادي وأمه بازدراء؛ لذا نجد(فادي)

يقول بعدما احتدم الصراع بينهم :

- " لقد خرجت عن حدودك !! ...وحدود الأدب واللياقة !!..أما قد وصلت إلى هذا الحد ...فسألقنك درسا لا تنسينه أبدا في حياتك ...والتفت إلى رضوى وقال لها ...
- أخبريها يا رضوى ..وسام ابني ولا له اب ثاني !! [2]، وهنا تتأزم المواقف وتتعقد، ويبدأ الصراع بين تماضر وفادي ورضوى، فيشتد المتلقي انسياقا وراء النص الروائي؛ رغبة منه في معرفة الحقيقة، وكيف ستنتهي الأمور ؟.

كما يظهر هذا الصراع في رغبة فادي للتحليل، حتى يعرف نسب الولد، فيذهب إلى أمه ويخبرها بأنه يتشكك في نسب ابنه وتساوره الظنون، فتفاجأ الأم بذلك ويحدث الصراع بين الأم وفادي، فالأم لا ترغب في تحليل ابنها؛ حتى لا تخسر أمير سلطان الذي

---

(١) عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية صـ٤٩ (مكتبة الشباب، القاهرة، د٠ت) .

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢١٩.

عطف عليهم، ولكن لا تحدث فضائح أكثر – بعدما تم القبض على ابنها من قبل – ويتضح هذا الأمر كذلك في الانتهازية التي برزت لدى فادي ورامي السياف، فالأول هدد الثاني بأنه سوف يعمل تحليلا ليستدل على نسب الولد، والثاني فاجأ الأول بصور قبيحة كانت تجمع فادي برضوى وهدده بها فحدث الصراع الذي جعل المتلقي كائنا مع أحداث الرواية، لا يستطيع الفرار من الأحداث، فهو يعيشها مع شخصيات الرواية، وهذه براعة من الكاتب الذي نجح في استخدام أساليب تساعد في جذب المتلقي إلى روايته.

(٩) السخرية :

من المتعارف عليه أن الشعب المصري – يسخر – دائما – مما لا يرضيه بأسلوب فكاهي، ودليل ذلك هو شيوع (الكاريكاتير) في صحفنا المعاصرة .. حيث يقدم نقده للواقع من خلال تلك السخرية اللاذعة والنابعة من إحساس بالوضع الراهن الذي تعيشه البلاد.

وقدم كثير من الروائيين موقفهم من هذا الواقع المؤلم عن طريق السخرية، التي تعبر عن المرارة التي يشعر بها الإنسان بسبب الظلم الواقع عليه؛ ولأن هذه الرواية تبرز واقع المجتمع المصري، فكان من الطبيعي أن يكثر الكاتب من استخدامه لتلك الأساليب الساخرة من المواقف المتعددة التي يرصدها.

ومن النماذج الدالة على ذلك، الحوار الذي كان بين راشد وفادي ذلك الحوار الذي يظهر السخرية من المسئولين الذين أوهموا المجتمع أن الاقتصاد المصري ينهار بسبب التزايد السكاني وكأن الزيادة السكانية هي التي تلتهم خيرات البلد، وليس هناك

أي شيء اخر، فيقول راشد لفادي: " اسمع يا سيدي ...التقى رئيس جمهورية الصين بأحد أعضاء البعثة الدبلوماسية المصرية في الصين وسأله :

رغم أنكم في مصر أصحاب حضارة عريقة إلا أنكم تعدون من دول العالم الثالث ...فما السبب ؟ فرد علية الدبلوماسي المصري وقال له بسبب زيادة السكان .."[1].

وسأله عن تخلف وانخفاض معدل النمو الاقتصادي وكذلك التأخر في الصناعات الثقيلة والصناعات الالكترونية وكانت الإجابة دائما هى الزيادة السكانية، فتعجب رئيس الصين وقال له : " كم عدد سكان مصر الان ؟

- ثمانون مليون نسمة.
- فضحك رئيس الصين وقال للدبلوماسي المصري ...
- كان أولى بك أن تحضرهم معك إلى الصين ليتناولوا معنا وجبة الغذاء ! "[2].

إن تبرير موقف المسئولين دائما هو استخفافهم بالشعب، فنحن مقتنعون أن الزيادة السكانية لها أضرارها؛ لكنها ليست هي السبب المباشر لانهيار مجتمعنا، هذا أمر غير منطقي والكاتب يرمز بذلك إلى أن مصر تتعرض لنهب من أبنائها.

ثم يظهر الكاتب تلك السخرية من هذا الواقع الذي لم يرحم مسئولونه هذا الشعب المكافح، الذي يتحمل تلك الصعوبات التي فاقت الوصف، وكان ذلك من

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١١.

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١١.

خلال الحوار بين فادي وأمه عن سبب زيارة وزير الصحة، فيقول الراوي : " – للوقوف على نشاط المسئولين في قطاع الصحة في مجال انفلونزا الطيور ...

- وللأسف ضاعت ثروة الدواجن ....ولن يجد الشعب المسكين شيئا يتغذى عليه.
- بالحظر المفروض على تربية الطيور.
- وماذا نأكل يا عالم ؟.
- كفاية علينا العدس وأخواته ..."[1].

إن نبرة الأسى والحزن تتفاقم عند هذا الشعب المظلوم؛ وهذا ما سينتج عنه ثورة؛ ولقد حدثت بالفعل، ولو كنت مكلفا لنقد هذه الرواية من فترة؛ لقلت إن هذه الأسباب ستنبيء عن النضال الوطني والثورة فيما بعد، تلك الثورة التي حدثت الآن بالفعل.

ويقول الراوي واصفا تلك السخرية – إن ظهور السخرية في الشعب المصري يعد لازمة؛ فهو في انهيار تام، وينتقل من سيء إلى أسوأ، ثم يظهر الحوار الذي ناجى به فادي نفسه، في التعليق على موقفه لكل ما يراه من رضوى فيقول :

" ربما أهلها أغنياء ولا يهتمون بمواظبتها على الكلية ...فالمواظبة لا تعنيهم من قريب أو بعيد لأن الشهادات في حياة هؤلاء الناس على هامش اهتماماتهم ..."[2]، فادي هنا يعلق على عدم رؤيته لرضوى في الكلية بهذا الأسلوب الساخر الذي يبين أن هناك فوارق كبيرة في المكانة والرؤية بين الطبقات فالأثرياء ينظرون إلى العلم دون اكتراث لعدم حاجاتهم إليه، ومن المفارقة أن الطبقة الشعبية أصبحت تتعامل هي الأخرى دون اكتراث؛ لأن المتعلم لم تعد له مكانته التي كان عليها في السابق.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ ١٧-١٨.

(٢) المصدر السابق صـ ١٩.

كما تتضح السخرية في النفاق الذي يتسم به المسئولون عندما يستقبلهم وزير الصحة فيقول الراوي : " وألقيت الخطب الرنانة والكلمات الحماسية التي أخذت تشيد بيقظة السيد الوزير الذي لم يدخر وسعا في محاصرة وباء انفلونزا الطيور في مصر، ولذلك لم تظهر إلا بعض الحالات القليلة والنادرة التي تم التعامل الفوري معها بالأمصال الوقائية والعلاجية المستوردة أو المجهزة محليا ..."(١).

وعندما يتأخر فادي في رجوعه إلى المنزل، تبين لنا وصيفة السخرية من خلال أسلوبها الذي يوضح اللامبالاة التي اتسم بها فادي مؤخرا بسبب هذه الشلة الفاسدة وتقول له : " لماذا لم تخبرنا قبلها.

- الفكرة جاءتني متأخرة ..
- اتصل ...طمئنا عليك !! والمحمول في جيبك !!
- آخر مرة تعملها ...قبل ما تروح أي مكان بلغنا ...قول لنا نعرف مكانك ونطمئن عليك!!
- حاضر يا ماما
- عشاك جاهز
- أنا تعشيت
- اتعشيت !! ..."(٢).

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢١ .

(٢) السابق نفسه صـ٥٥-٥٦ .

النص السابق يبين الحزن الناجم من إهمال فادي وعدم مبالاته لقد تغيرت حياته تماما بعد علاقاته المستمرة مع شلة رضوى المنحلة.

ويبلغ الأسلوب الساخر مداه، عندما يكون الحديث عن الكليات وما شابها من انحلال، فلم تعد للتعليم، بل أصبحت مؤسسة للزواج العرفي وغيره، وكان ذلك في الحوار الذي كان بين أمير سلطان وتماضر زوجه بعد معرفتها بزواج ابنتها رضوى من فادي عرفيا، فيقول أمير سلطان – لقد وجدنا وثيقة الزواج مع بنتك ...اطمئني !!

فلطمت وجهها وصاحت ..

- أطمئن !!...أطمئن على الخيبة والفضيحة يا باشا !! ..ولكن قول لي من هو المحروس سعيد الحظ الذي تزوجته ؟
- طالب زميلها في الكلية
- ما شاء الله ....الكليات أصبحت مؤسسة للزواج السري ..."[1].

كما تسخر أيضا تماضر من فادي، في الحوار الذي كان بينهما وبين زوجها أمير سلطان، ففيه تبين سخريتها من فادي؛ إذ تزوج من رضوى دون مقابل، فتقول : " – زواج مجاني !!..لم يدفع فيه المحروس مليما واحدا ...وعفشي ستايل ايطالي ....في دور فخم بالقصر والمصيبة ياأامير إن العريس طالب وصعلوك من أسرة أي كلام !! وليس له وظيفة "[2].

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٥٩.

(٢) المصدر السابق صـ ١٩٤.

وتأتي سخرية وصيفة من ابنها الانتهازي فادي الذي يوهم أمه بأنه لا يستطيع أن ينسب وسام إليه وهو ليس ابنه، ولابد عليه من تحليل لمعرفة الحقيقة؛ فإن ضميره يؤنبه، وتسخر أمه من هذا الولد الذي يدعى الإصلاح على الرغم من عدم نشدان له في السابق، والكاتب يرى ذلك أيضا؛ كيف كان عندما وافق على الزواج من فتاة تعرض إليها رامي السياف ؟، أين كان ضميره في ذلك الوقت ؟ فتقول له أمه : " – أتريد أن تهدم كل شيء على رأسك وتعود صعلوكا تافها من حيث أتيت ؟ !!

فقال وكأنه أفاق من غيبوبته .....

- إن المسائل لا تقدر بهذه الطريقة يا ماما !! فابتسمت أمه موجوعة وساخرة منه ...
- قل لي ...فبأي شيء تقدر المسائل يا فيلسوف الغبرا ؟ "[1].

ويعود الراوي ليرصد لنا جانبا من السخرية عندما تعلم تماضر بزواج أمير سلطان – زوجها – من وصيفة – أم فادي زوج ابنتها – وتحاول تماضر الاستهزاء بوصيفة، فيقول فادي : " ماما سيدة مكافحة شريفة تربي أولادها من الحلال بعد أن مات المرحوم بابا فضحكت ضحكة عالية.

وقالت :

- الله يرحم بابا !! مات في السجن !!..لا أحد يدري حتى الآن كيف مات ؟، لكن الذي نعلمه أنه كان موظفا مرتشيا ..."[2].

ونخلص مما سبق إلى أن الشعب المصري يعد شعبا ساخرا بطبعه يحب الفكاهة، ويرصد النكتة في أحلك المواقف وأصعبها، ويرجع وجود تلك السخرية بغزارة، ما

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق صـ ٢١٨.

تعرض إليه الشعب المصري من هجمات شرسه لأجناس دخيلة، فرضت عليه نفسها بحماقة وجهل، وكان الشعب المصري يشعر بأنه أسمي من هؤلاء الغزاه عقلا وروحا، كما أن الشعب المصري قد عاصر التناقض منذ فجر حياته، فقد شعر بهذا التناقض، وأحس أنه يحتويه؛ وهذا ما دعاه لتمجيد الأبطال.

السخرية تجسد رفض الهزيمة التي مني بها المسئولون عن حماية هذا الشعب؛ لذا فهي تعد الروح الباقية الخالدة خلود الحياة.

(١٠) الحوار الداخلي :

يعني المنولوج الداخلي حديث الشخصية مع ذاتها؛ لنقل القاريء إلى أعماق الحياة الداخلية لتلك الشخصية، واستخدام هذا الأسلوب في الرواية له معناه الخاص إنه " شكل يسمح للمرء بأن يطارد إلى أعمق أعماق النفس، التفجر الأولي للفكرة "[١]، وقد حفلت هذه الرواية بكثير من حوار الذات، محاولة من الكاتب باستثمار أساليب التحليل النفسي؛ حتى يوغل في استبطان الداخل الذي يتخذ طابع التأمل الذاتي والمناجاة، والتداعي.

ولا شك في أن تقنية المنولوج تمنح المؤلف قدرة على الولوج إلى أعماق شخصياته، وعلى كشف أسرارها وشعورها، وهذه التقنية تقدم " المحتوى النفسي للشخصية والعمليات الذهنية بداخلها دون أن تنطق بها الشخصية في كلام مجهور، في اللحظة التي توجد تلك الأفكار أو العمليات في مستوى الوعي، ودون أن تفترض تلك الشخصية أو تتوقع وجود سامع على الإطلاق، ويمكن أن يقدم المنولوج مادة الوعي بترتيب غير منطقي "[٢].

---

(١) ويست بول: الرواية الحديثة صـ٢٥ (دار الرشيد للنشر،بغداد،١٩٨١) ترجمة:عبد الواحد محمد .

(٢) روبرت همفري : تيار الوعي في الرواية الحديثة صـ١٤/ ١٥ (دار المعارف مصر، ١٩٧٥) ترجمة محمود الربيعي.

وبرز هذا المنولوج في كثير من النصوص الروائية لهذه الرواية، حيث إن الشخصية كانت مضطربة نفسيا؛ لذا جاء هذا الحوار الداخلي؛ لتبوح لذاتها ما لم تتكلم به أمام الناس؛ وليكشف الروائي – من خلاله – باطن الشخصية وما ينتابها.

ومن ذلك موقف فادي من حب رضوى تلك الفتاة الثرية الجميلة، فهو يستبعد ذلك، بل ينكر على نفسه هذا الحب، نظرا لحياته وسجن أبيه .....إلخ؛ لذا يسائل نفسه " كيف لي أن أعيش قصة حب وأنا في هذه الظروف القاسية، فإن دخول أبي السجن ضيق علينا حتى الانفراج العاطفي "[1].

فالحوار السابق يكشف لنا حالة الحزن التي انتابت فادي بسبب دخول أبيه السجن، فقد تسبب ذلك في فقدان أشياء كثيرة يتمتع بها أصحابه، ومن هذه الأشياء الاتجاه العاطفي الذي برز لديه عندما تعلق برضوى التي سحرته بجمالها وأنوثتها وحيويتها.

ثم يظهر الراوي تعجب فادي ودهشته من قدوم رضوى نحوه فيقول الراوي عن فادي : " سأل نفسه – ما الذي جاء بها إلى وأنا طالب من بسطاء الناس وهي على هذه الصورة من الوجاهة والترقي ؟... "[2].

كما يظهر ذلك الحوار عند فادي، في تعليقه على سجن والده، وهل بالفعل كان يستحق هذه العقوبة ؟، فيقول لنفسه : " إنه استحقها بجدارة لأنه إلى جانب الرشوة زور تقريرا فنيا أدى إلى انهيار عمارة على رؤوس الأبرياء من السكان .... "[3].

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١٤.

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٨.

ويتضح المنولوج عند وصيفة عندما كان أمير سلطان رجل الأعمال المشهور يتعقبها، ويثني على جمالها، فتقول لذاتها : " هل كان أمير سلطان متعمدا ؟ ....أم أن ما حدث كان محض الصدفة ؟

وأدارت السؤال مع نفسها مرات وقالت ....

• أعتقد أنه كان متعمدا. فإن كلمات الرجل توحي بأنه كان يلاحظني من قبل ويفكر بي ..."[1].

كما تناجي وصيفة ذاتها، بعد حفل العشاء الراقي الذي أعده أمير سلطان لها، وبعد انصرافها تناجي نفسها ليظهر الكاتب حيرتها وترددها واضطرابها مما يحدث فتقول: " هذه بداية لشيء قادم!!...لا أدري هل هو شيء مريح أم شيء عاصف ؟

وما الذي يجعله يفعل معي ما يفعل أن كان يرغب في كأنثى ....فالسيدات الجميلات كثيرات ...وفي متناول يد من في مثل غناه وجاهه "[2].

ثم يظهر الراوي تصارعات الفكر داخل فادي الذي رأى تلك الشلة الفاسدة التي تجتمع في فيللا رامي، فيقول لنفسه : " ما الذي يستفيده رامي من عقد هذه الزيجات والحفلات التي تتم في فيلته والتي تركها له أبوه كي يحصل فيها دروسه في هدوء واستقرار ؟...وما شأن رضوى بكل هذا الذي يجري ؟ ..."[3].

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٤٦.

(٢) المصدر السابق صـ ٦٧.

(٣) المصدر السابق صـ ٧٤.

ثم يعبر الكاتب عن رفض فادي لواقعه وحياته، إذ أنه لا يتمتع بنفس المزايا التي يتمتع بها أصحابه، وقد تم حرجه أكثر من مره، بسبب فقره فيقول لذاتها رافضا هذا الوضع : " إلى متى سأتحمل هذا الإحراج المر ؟ ...لا بد أن أطلب من ماما زيادة مصروفي ..لازم ...أنا لست طفلا صغيرا ..أنا منظري أمام الشلة سيكون مجلبة للسخرية "[1].

ويبين الكاتب تلك التقنية أيضا في موقف فادي من رضوى؛ إذ يراها تتمتع بحرية مبالغ فيها، ويرى بذاته الشلة الفاسدة التي لا تهتم ولا تكترث بما هو مفيد، ويشاهد فيللا رامي التي أعدت للفجور، فيقول لنفسه حائرا : " إذا كانت رضوى بنت رجل الأعمال المشهور تمشي هكذا على هواها ..فلماذا يدعها أبوها على حريتها المطلقة بدون رقيب ولا حسيب ؟..ألا يعلم الرجل أن ابنته تسهر خارج البيت ؟ ...أم أن له قصورا كثيرة وهي تتردد بين هذه القصور ولا يعلم في أي قصر تبيت ؟...لقد تاهت المسألة عندي..... "[2].

ويحدث الراوي كثيرا من التناقضات بين ذات الشخصية وما تفعله من خلال وصيفة التي أقدمت على الطلاق من زوجها، بعد تعلقها بأمير سلطان، فتقول لنفسها : " والآن يا وصيفة ستطلبين الانفصال من نظمي مسعود، ذلك الزوج الذي شهدت معه وشهد معك أحلى أيام العمر ...فقد تزوجك وأنت طالبة بالكلية ....وتحمل كل شيء عنك وعن أسرتك ..هل نسيت ذلك ؟ "[3].

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٧٥.

(٢) المصدر السابق صـ ٨٥.

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٠٨.

إنها تؤنب ذاتها بسبب الإقدام على هذه الخطوة.

ويكشف الراوي دور المنولوج في ظهور سمات الشخصية من خلال حديثها الباطني من خلال فادي الذي أصر على عمل تحليل ليعرف نسب ابنه الحقيقي، وبدا أنه يستغل ذلك الموقف، فطلب مقابلا للمال من رامي السياف الذي هدده بقوله : إني سأعمل التحليل وستفضح سيرتك، لكنه بعد فترة من الوقت يناجي نفسه بأنه إن فعل ذلك سيخرج صفر اليدين وسيحرم من الوظيفة والعيش المرفه في قصر زوجته الفخم، ثم يقول لنفسه : " إن أباها كتب على مؤخر صداق نصف مليون جنيه، وأنا لا أملك في يدي ألفا واحدة !! "(١).

وأخيرا نجد المنولوج الداخلي يعبر عن حالة الحزن التي انتابت فادي، فهو يشعر أنه السبب في موت تماضر – حماته – إذ إنه أفشى سر ابنتها وقال لها إن وسام ليس ابني وإنما ابن رامي السياف الذي كان يضاجع ويعاشر ابنتها رضوى فيقول مؤنبا نفسه : " لقد قتلتها باستفزازك وتهديدك !! "(٢).

ونخلص مما سبق أن الكاتب قد استعمل تقنية المنولوج بطريقة تتناسب مع النصوص التي يعرضها وتخدم بنية النص الروائي، وتكشف عن مكنون الشخصيات فيها؛ حتى تكون هذه الرواية أكثر واقعية وصدقا في التعبير عن نفسية الشخصية وتفكيرها؛ لذا فإن غاية الروائي في استخدام تلك التقنية هو دراسته للشخصية الإنسانية وعرضها " عن طريق رسم قطاع داخلي لحياتها النفسية وما يدور في داخلها من أفكار وتأملات وآمال وأحزان "(٣).

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٣١.

(٣) محمود السمرة : في النقد الأدبي صـ٢١ (الدار المتحده للنشر، ١٩٧٤).

(11) التسجيلية :

يعد هذا المصطلح من أقدم التعبيرات المصنفة للرواية، فلقد عرفت راوية الواقعية التسجيلية منذ القرن التاسع عشر وربما من أواخر القرن الأسبق عليه مع روايات " فيلدنج واسكندر ديفو ثم ديكنز وفيكتر هوجو"، وكانت التسجيلية عندنا أكثر بساطة؛ حيث لا تعدو أن تكون مجرد عملية رصد وتسجيل المشاهد الواقعة أمام عين الراوي بدرجة عالية من الدقة والتفسير.

وقد ظهرت هذه التقنية بوضوح في المنتدى الثقافي، والنقاشي في موضوع " الإبداع بين الحرية والمصادرة "، فرصد الراوي جميع آراء المناقشين لهذا الموضوع ومنهم مصطفي شاكر الذي يقول معبرا عن ذلك : " مصطفي شاكر ..شاعر. إنني سمعت من الدكتور المحاضر ما فهمت منه أن الحرية التي يتحدث عنها حرية مطلقة لا تراعى القيم ولا الأعراف ولا تراعي الأديان، وإنما تنطلق في خط أحادي لا يعبأ بما حوله من خطوط حمراء أو خضراء ...وفهمت أيضا أن كل مبدع حر في أن يقول ما شاء حتى لو تطاول في قوله أو إبداعه المزعوم على المقدسات ..أريد توضيحا لذلك.

فرد الدكتور فوزي وقال ..

- يجب أن نفصل بين الإبداع كإبداع وما يتعلق بالأديان والسياسة والجنس فكيف يكون المبدع فنانا صادقا إذا لم يعبر في صدق عما يحس به ويؤمن به ويراه بعينه مطابقا للواقع.

فرد عليه مصطفي شاكر ..

- هل لو تطاول من تسمونه بالمبدع على الخالق سبحانه وتعالى أو على رسوله أو على نبي من أنبيائه، أو على كتاب من الكتب المقدسة ...

فقال الدكتور ..

• لو حصرنا المبدع فقد قيدنا حديثه ..وصارت حريته ناقصة.

فضرب مصطفي شاكر كفا بكف وقال الدكتور في غيظ ..

• هل سائق السيارة يمكن أن يدوس الناس ويصطدم بأي أحد في الشارع بسيارته بزعم أن هذه حريته، ويرى أنه من غير المقبول أن يحجر على حريته أحد "[1].

ثم يسجل الراوي رأيا آخر مناصرا لهذه الحرية من خلال رضوى التي تقول : " – رضوى سلطان طالبة جامعية ومحبة للثقافة والفكر ..إنني أقول لكم : لا يعرف طعم الحرية المطلقة إلا من مارسها في حياته، وأنا أرى أن الإنسان حر في رأيه وتصرفاته، ويجب ألا يكون هناك حجر على إبداعه أو أفعاله "[2].

كما يرصد الراوي لأخري مناصرة لهذا الرأي ولكن بكبرياء فتقول :" سهير وجدي شاعرة. أنا أؤيد الدكتور فوزي في كل كلامه، وكل ما جاء في محاضرته ...وعلى المعترض أن يلقى بنفسه في البحر فهبت فتاة غاضبة وقالت .....

• رنا توفيق شاعرة : إن الذي تقولينه يا آنسه سهير خلط وعدم فهم بل إنه عبث وقلة حياء يستوجب منك أنت أن تلقي بنفسك في البحر "[3].

لقد ظهر أن الراوي في النصوص السابقة كان حاملا للكاميرا يلتقط الأضواء من هؤلاء الجالسين في هذا المنتدى الثقافي، فرصد كل ما قيل بالتفصيل والدقة.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١١٦-١١٧.

(٢) المصدر السابق صـ ١١٨.

(٣) المصدر السابق صـ ١١٩.

كما أبرز الراوي وجهة نظر المحامين عن شلة رضوى عندما تم القبض عليهم، فقد بدا لهم – غالبا – أن هؤلاء الأولاد كانوا ضحية لعوامل كثيرة، فيقول الراوي : " وانبرى كبار المحامين يدافعون عن هؤلاء الشباب الضائع وسط مجتمع ضاعت فيه القيم والأخلاق، وانصرف فيه الآباء إلى جمع المال دون أن يعطوا أبنائهم وبناتهم حقهم المشروع من التربية والرعاية والمتابعة والرقابة، في الوقت الذي فشل فيه النظام التعليمي بجميع مراحله في تقديم السلوك الحسن والقدوة الطيبة، وأصبحت مناهج الكليات خالية من تدريس قسط من الموضوعات الدينية التي يمكن أن تعصم الطلاب والطالبات من السقوط، وأن تصلح ما أفسده العصر "(١).

كما أشار المحامون إلى هؤلاء الفتية كانوا ضحايا الأسرة الغافلة والنظام التعليمي الفاشل والتربية السلوكية المفتقدة، وأجهزة الإعلام ببرامجها الغثة ومسلسلاتها الهابطة، وكذلك اليأس الذي أصاب هؤلاء الفتية بالإحباط كان السبب في لا مبالاتهم.

ويقوم الراوي برصد حكم المحكمة على لسان المحكمة الذي قال :

" والمحكمة بعد أن نظرت هذه القضية من جميع جوانبها وزواياها المتعددة، ترى أن هؤلاء الشباب والفتيات قد خرجوا عن الصراط السوي وأهملوا علومهم بالجامعة ومارسوا أعمال الفحش والانحلال فأصبحوا بذلك قدوة سيئة لجميع الشباب من مختلف الأعمار والمحكمة تدينهم بما فعلوه ولا تبريء منهم أحدا وترى أنهم جميعا يستوجبون العقوبة المغلظة تأديبا لهم وعبرة لغيرهم ...ولكن المحكمة بواسع رؤيتها ودراستها للقضية ترى أن الجناة الحقيقيين هنا ليس هؤلاء الشباب وحدهم، ولكنه

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٧١ .

المجتمع بأسره بكافة مؤسساته الأسرية والتعليمية والثقافية والإعلامية والدينية، والتي ظهر للمحكمة جليا أن دورها الفعال في تربية النشيء وتوجيهه، وفي توعية الشباب وتثقيفه وفي حمايته وإصلاحه قد تلاشى واختفي مما تعذر على هذا النشيء أن يعرف من باكورة حياته الخطأ والصواب والحرام والحلال وما يجب عمله وما لا ينبغي الاقتراب منه ...إن المدارس والجامعات لم يعد لها الدور التعليمي والتربوي والسلوكي الفعال ..الذي يعلم ويربي ويهذب ويوجه ويعطي نماذج القدوة الصالحة الحسنة لأجيالنا من من البنين والبنات ..بالإضافة إلى أن الأجهزة الإعلامية والثقافية انصرفت إلى استعراض ألوان من ثقافة العري والعهر بدعوى الانفتاح والحداثة والعولمة، فهان على الشبان فتيانا وفتيات الخروج على القيم والمباديء والاستهتار بالعرف والتقاليد والدين محاولين تقليد النموذج الغربي الذي تخيلوه بانحلاله على أنه مجتمع الرقى والتقدم وهم يشاهدون بأعينهم كل لحظة الجنوح اللاأخلاقي على شاشات الفضائيات والسينما .....والمحكمة ترى أن انصراف الاباء انصرافا كاملا عن أسرهم وأبنائهم وبناتهم في جمع المال وتكديسه وفي السفر والاغتراب تحت زعم جمع الثورة من أجل تأمين مستقبل الأبناء ...ناسين أنهم بهذا يهدمون مستقبلهم ويحطمون حياتهم، ولهذا أصبح الأبناء لا يجدون مراقبا ولا متابعا ولا محاسبا يوقفهم عند حدود الخطأ والصواب قبل أن ينحرفوا أو تستهويهم المغريات الطاغية في هذا العصر الجموع ....ولذلك حكمت المحكمة عليهم بالسجن بالمدد المتفاوتة قرين كل اسم منهم مع إيقاف التنفيذ...حتى إذا سولت لأحدهم نفسه أن يعود إلى نوع من الخطأ أو الانحراف سيتم تنفيذ الأحكام السابقة

واللاحقة عليه دون أدنى رأفة أو رحمة ..رفعت الجلسة "[1]، ثم يسجل الراوي بعد الحكم موقف الرأي العام تجاهه فيقول :

" وانقسم الرأي العام إلى فريقين بصدد مدى عدالة هذا الحكم...فمن الناس من رأى أن الحكم الرادع كان سيقطع الطريق على أي مخالفة مماثلة قد تقع في المستقبل وبهذا يطبق العدالة الذي يجازي المحسن على إحسانه والمسيىء على إساءته ..

أما الفريق الثاني فقد إنحاز إلى حكم هيئة المحكمة التي رأت أن هؤلاء الأبناء والبنات ضحايا لعوامل أسرية واجتماعية ولذلك كان التخفيف عليهم نوعا من الإنذار المشدد كحل وسط يجعل السيف مرفوعا على رقبة من تسول له نفسه الخروج إلى طريق الغواية والضلال مرة أخرى "[2].

ونخلص من ذلك إلى أن التسجيلية تقوم على " مبدأ الانتخاب والاختيار بما يتواءم مع وجهة نظر خاصة، أو فكرة معينة، لكنها تقف عند الظواهر ولا تعطي – غالبا– اهتماما للجوانب النفسية العميقة، التي تحدد قسمات الشخصيات الإنسانية، التي تجعلنا في النهاية نعيش معها كما لو أنها بيننا، نعرف ملامحها بدقة وعمق حتى بعد قراءة الرواية بزمن طويل "[3].

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٨٧.

(٢) المصدر السابق صـ ١٨٩-١٩٠.

(٣) إبراهيم السعافين : تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠ – ١٩٦٧ صـ٢٨٦ (دار المناهل للطباعه والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٧) .

(١٢) التآزر :

لا ريب أن التمييز بين الأنواع الأدبية في الكتابات المعاصرة أصبح من الصعوبة؛ لأنه قد انتهكت الحدود، وخرقت المباديء بين الأجناس الأدبية، فمسألة الأنواع " لم يعد لها ثباتها القديم، وأصبح كل نص جديد كأنه نوع في ذاته، ولم يعد من السهل أن تجمع مجموعة من النصوص لتقول إنها تنتمي إلى نوع أدبي واحد "[١].

وقد وجدنا ذلك عند الكاتب من خلال استخدام المسرواية في روايته، وأعني بها تعانق المسرحية والرواية وامتزاجهما، والأرجح أن ظهور هذا اللون كان رغبة في تقليد الغرب، أو الإفادة من الجمع بين المسرحية والرواية من خلال الألفاظ والأساليب، أو محاولة من الكاتب لتحطيم قالب الرواية كما حدث في الغرب.

وقد امتلات الرواية بكثير من الحوارات الطويلة بين الشخصيات في الأحداث المتنوعة، حتى لتكاد تشكل هذه الحوارات بنية أصيلة في الرواية، والمتلقي بذلك يشعر أنه كالجالس في المسرحية ليشاهد أحداثها من خلال تلك الشخصيات، والنماذج الدالة على ذلك كثيرة، إذ إن الرواية كلها مبنية على ذلك، فمثلا نجد الحوار بين المدير العام وبين وصيفة وأمير سلطان، الذي كان يرغب في الاقتراب من وصيفة بأي وسيلة، فيقول المدير العام للسيدة وصيفة : " ما رأيك يا مدام وصيفة في أن تكوني حلقة الوصل بيننا وبين الباشا حتى ينتهي من تنفيذ مشروعه ؟

ثم توجه بسؤال إلى أمير سلطان وقال له ...

---

(١) خيري دومة : تداخل الأنواع في القصة القصيرة (١٩٦٠ – ١٩٩٠) صـ٢٦٠، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨) .

• كم سيستغرق المشروع من الوقت ؟...لأننا لا نستغني عن مدام وصيفة ؟

• حوالي ستة أشهر تقريبا !!... ولاحظ يا حازم باشا أننا لن نقطع صلة مدام وصيفة بكم فهي لن تتفرغ لنا تفرغا كاملا.

وعاد المدير يسأل مدام وصيفة ....

• ما رأيك يا مدام وصيفة فيما سمعت ؟

فتظاهرت بعدم البهجة وقالت ...

• ولو أنني مشغولة ..إلا أنني لا استطيع أن أرفض لكم طلبا ما دام ذلك لمصلحة العمل.

فقال أمير سلطان

• على كل حال يا مدام وصيفة المدة قصيرة فهل تقبلين ؟

فابتسمت وقالت ...

• ما دام المدير العام قد وافق فأنا لا أستطيع أن أرفض لكم طلبا يا باشا.

فانتعش أمير سلطان وقال ...

أنا شاكر لك يا مدام وصيفة قبولك لهذه المهمة المؤقته ..وأكرر شكري لسيادة المدير العام على تلبيته لطلبنا – فقال المدير العام

• نحن جميعا في خدمة العاصمة والمحافظة بأسرها

وأراد أمير سلطان أن يؤكد ما تم الاتفاق عليه مع مدير العلاقات العامة وحتى لا يكون طلبة ثقيلا عليهم ...وحتى لا يسحبون موافقتهم لأي سبب فقال.

• سيكون للعلاقات العامة وللسيدة وصيفة مكافاة رمزية.

• بعد الانتهاء من تنفيذ المطلوب، وذلك سيكون عنوانا على التعاون المشترك بيننا "[1].

وكذلك ظهرت تلك المسرواية، في الحوار الذي كان بين أحد أعضاء اتحاد الطلاب، الذي انتهز وجود بعض الطلاب في المصلى بعد صلاة الظهر، فذهب إلى مسئولي الأمن للتوجه إليهم في المصلى لفض هذا الاجتماع ..وقال للطلاب " يا حضرات ممنوع الاعتكاف والجلوس في مسجد الكلية بعد الصلاة ....

فرد عليه أحد الطلاب الجالسين

• ماذا رأيتنا نفعل هنا ؟ ..إننا نستمع لشرح حديث نبوي عقب صلاة الظهر حتى يحين موعد المحاضرات

• أنتم تختارون الأحاديث التي تحرض على التمرد ضد النظام !!

• هذا افتراء !! ...من قال لك ذلك ؟

• وأين نمارس نشاطنا الديني ؟

• من خلال اللجنة الثقافية بالاتحاد.

فقال واحد من الجالسين في غضب.

• إذا كانت هذه اللجنة لم تنعقد بعد الانتخابات حتى الآن إلا مرة واحدة !!، وأعتقد أنها إذا اجتمعت لن تسمح بمناقشة الموضوعات الدينية فقط ...كفاية عليها الرحلات والحفلات.

• نحن نسمح بمنافشة هذه الموضوعات في المناسبات الدينية فقط ومن الآن فصاعدا فعلى من يرغب في الحديث في أي موضوع يكون ذلك من خلال نشاط اللجنة الثقافية للاتحاد ..

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٤٨-٤٩ .

فثار طالب من الجالسين وقال :

- حتى في قال الله وقال الرسول تفرضون علينا حظر في الكلام !!.
- اسمع يا أخ لا ترفع صوتك علينا !!.
- هل أنت ولي أمرنا ؟.
- اسمع كلامي حتى لا تندم !!.
- ماذا تريد أن تفعل ؟.
- أنت تعرف أننا نستطيع أن نفعل أي شيء .
- ليس أمامكم إلا التبليغ عنا لعميد الكلية ..ونحن لم نفعل شيئا يضر بالأمن العام في الكلية حتى نخاف ..... وتوجه بعض أعضاء اتحاد الطلاب إلى عميد الكلية الذي استقبلهم ليستمع إليهم، فقال أحدهم للعميد يا سيادة العميد ...هل الكلية تسمح بأن يمارس بعض الطلاب أي نشاط ثقافي أو ديني خارج إطار اتحاد الطلاب ؟
- بالطبع لا ...وهنا شيء معروف !!...ماذا جد في الأمر ؟.
- بعض الطلاب يجلسون في مصلى الكلية بعد صلاة الظهر ويمارسون أنشطة مريبة داخل المصلى
- يا ابني أنا لا أريد مواجهة بينكم وبين طلاب الجماعات الدينية داخل الكلية.
- تصور سيادتك أنهم يريدون أن يكون لهم وجود مستقل داخل الكلية !!
- هذا محظور بالطبع

• إن بعضهم يا سيادة العميد يرسلون بعض الطالبات المحجبات إلى زميلاتهن المتحررات ينصحهن بلبس الحجاب ...وهذا تدخل في حرية الطالبات الشخصية ..."[1].

وكذلك نجد الحوار بين رضوى وفادي، عندما طلبت منه أن يتزوجها فقال لها :

" – يا سلام يا رضوى على المفاجأة !! ..يا سلام !! ..أنا موافق هيا نتزوج في الحال.

فضحكت ضحكة عالية وقالت له ..

• بشرط !!.

• اشرطي.

• شرطي ألا تراجعني في تصرفاتي وفيما نتفق عليه !.

• أمرك يا حبي.

• من الآن فاعلم أنك زوجي أمام الشلة .. لكن لا تحاسبني على تصرفاتي مع أي شاب فيهم..أنا لي مطلق الحرية ..عليك أن تصم أذنيك وأن تغلق عينيك ..وتنساني إلا إذا طلبتك بمزاجي فرح قليلا وقال لنفسه ..

• أي أنني سأكون فردة حذاء ..تلبسني وقتما تشاء وتخلعني عندما تحب !! مرحي !!مرحي !!

فهزته من كتفه وقالت له ..

• مالك ..؟ ..ألا تعجبك شروطي ؟

فانتبه من سرحانه وقال فورا ...

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـــ٥٨ / ٥٩ / ٦٠.

• موافق يا رضوىٰ علىٰ كل شروطك ..المهم يا حبيبتي أن أستمتع بك في أحضاني.

• وسكت برهة وسألها ...

لكن كيف أسكت لو حدث شيء وأنت زوجتي ؟

فقالت له بجرأة وقحة ..

• أنت حر يا حبيبي !! .. شاور نفسك من الآن !! "[1].

ونخلص مما سبق : أن الرواية – هنا – قد وقعت في المنطقة الوسطىٰ بين الرواية والمسرحية، ودليل ذلك أن الراوي يتحمل مسئولية السرد في الرواية، بينما يتحمل الحوار بين الشخصيات عرض الحكاية بالمسرحية، لذا فيعد المكان المتنوع والمتعدد في الرواية معادلا لخشبة المسرح التي تدور عليها الأحداث من خلال الحوار الممتد بين الشخصيات.[2].

(١٣) الصورة الروائية

يتميز العمل الأدبي بالصور التي يؤلفها خيال الأديب؛ إذ إن معاني الأديب تظهر من خلال تلك الصور التي تتاح للأديب، وكذلك فإن الأديب يستطيع أن يعبر عن مشاعره من خلال هذه الصور.

ولا ريب في أن الوصف يلعب دورا رئيسا في تكوين الصورة الروائية، بيد أن الاختلاف فيما بين هؤلاء النقاد في مفهوم ومحدودية هذه الصورة الروائية، ففي الوقت الذي يري فيه " هنرىٰ جيمس " أن الصورة الروائية تصور الحياة، يري " بيرسي لوبوك

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٨٨/ ٨٩.

(٢) لمزيد من النماذج الروائية انظر : السابق نفسه صـ٢٠١/ ٢٠٧/ ٤٧/ ٥٠/ ٥٢/ ١١١/ ١١٦/ ١٢٠/ ١٢٣/ ١٥/ ٢٣/ ٢٧/ ٦٩/ ٧١/ ٧٧/ إلخ.

" أن الصورة تشمل العمل الروائي كلية أو شطرا من العمل الروائي، ويشير إلى أنه " إذا كان علينا أن نعالج الرواية بوصفها شريحة من شرائح الحياة التي تحيط بنا، فإننا نكيف أنفسنا، ونجعل عناصرها التي تثيرنا بشكل حاد أشياء موضوعية كالمشاهد المؤثرة والشخصيات الرائعة، إن هذه الأشياء تتخذ لها شكلا في ذهن القاريء، وهناك يعاد خلقها وتكوينها حيثما وقعت بصيرة الفكر عليها "[1].

وقد اعتمد الكاتب في تشكيل هذه الصورة على أدوات كثيرة منها الحركة التي تؤثر في فاعلية الدلالة والأثر لدى المتلقي، كما أنها تفرض قانونا للإيقاع يختلف عن الصورة السمعية للشعر، إذ ينتظر من الأولى أن تتجه إلى التنامي المنتظم في الزمان، والمكان ..."[2].

ومن النماذج الدالة على الحركة، قول الراوي : " كان فادي يجلس أحيانا في بوفيه الكلية وحدة ..كي يتناول مشروبا على وجه السرعة، ثم يغادر المكان خشية أن يقتحمه أحد زملائه من الفضوليين، فيضطر لاستضافته وليس معه سيولة تواجه هذه المواقف ..."[3]، فالألفاظ، يتناول، السرعه، يغادر، يقتحمه كلها تدل على الحركة.

كما نجد تلك الحركة في حوار فادي ورضوى " – رضوى...أنا معك في قسم الفلسفة

- لكنك لست معي في الفرقة الأولى !!

(١) محمد انقارم : الصورة الروائية بين النقد والإبداع صـ٤١(مجلة فصول، مجلد١١ عدد٤، ١٩٩٣).

(٢) صلاح فضل : شفرات النص، بحوث سيمولوجيه في شعرية القص والقصيد (دار الفكر، ط١، ١٩٩٥) صـ٢١١.

(٣) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٤.

• أنا في الفرقة الثانية ..

• خبرتك بالكلية أوسع

• يا سيدي ..مجرد عام ليس إلا

• ثم ابتسمت وقالت له ..

• ألا تعزمني على شيء ؟

• قال لها ..

• اطلبي ما تشائين

• سفن أب

• فأشار إلى عامل البوفيه بالمطلوب، فأحضره على الفور، وأخذت رضوى ترمقه بنظراتها الفاتنة وتقول له ...

• فادي ...فادي مسعود .

• أحس أنك تميل إلى الانطواء ..."[1] فكذلك نجد الحركة هنا في ألفاظ،ابتسمت، أشار، ترمقه ...، ومن هذه النماذج قول الراوي : " في الكلية انهمك فادي في تسجيل محاضرات الأساتذة أو تلخيص العناصر الهامة فيها .....لأنه كان حريصا على ألا يتخلف لأن وضعه الاقتصادي لا يسمح له بالتخلف أو اعادة السنه..فالسنة الدراسية بالنسبة لوالدته عبء كبير لأنها مكلفة والدخل محدود. وفي إحدى الاستراحات بين المحاضرات وجد زميله فكري يمسك بذراعه ويضغط عليه في رفق ويهمس في أذنه ...."[2] فالألفاظ انهمك، تلخيص، يضغط، يهمس ....

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٥.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٢.

ولا شك في أن الحركة التي برزت من خلال النصوص الروائية السابقة تعد من لوازم الصورة للتاكيد على درامية الحدث، وإسباغ صفة الواقعية على الحدث، فضلا عن أن تلك الحركات تبين الأثر الفني للأحداث على المتلقي من خلال الاتجاه النفسي.

وتتضح الحركة في حوار أمير سلطان مع وصيفة : " – لقد كنت تطلبين الحلال ..وسياتيك الحلال موثقا ومشهودا عليه من الناس ... ابتسمي وافرحي ...ابتسمي يا وصيفة ..أنت لا تدرين كم أحبك ..ولو عاد بي الزمن والعمر وخيرت بين زوجتي ابنة صاحب الشركة وبينك لا خترتك دون تردد. فابتسمت وأمسكت بكفه وقالت له.

– إلى هذا الحد تحبني يا أمير ؟ ...وقام وأخذها من يدها وضمها إلى صدره ومالت عليه والعبرات تنسكب من عينيها ..."[1].

فالألفاظ ابتسمي، عاد، أمسكت، قام، ضمها....كل هذه الكلمات تدل على الحركة، تلك الحركة التي شكلت فضاء الصورة وساعدت في الكشف عن الشخصية بوضوح، وجاءت الحركة في النص السابق على مستويين؛ المستوى المادي وتمثل في القيام، والمستوي المعنوي وتجسد في الابتسامة، وفعل الحركة في الاتجاهين ينمي النص ويمنحه الحيوية والتجدد، ويضع المتلقي على لحظات التطور في الشخصية.[2]. ومن العناصر التي شكلت الصورة أيضا الكناية التي تسهم في ارتفاع درجة الخيال، والتمثيل البلاغي مما يزيده في حدة الإحساس بماساوية الحدث وسعادته.

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٢٤.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠.

ومن النماذج الدالة على ذلك قول الراوي على لسان فادي : " راها لأول مرة واختزنها في الذاكرة، حيث ظلت مطبوعة على شاشة الذاكرة بالألوان لا تبرح الشاشة ولا تغادرها حيث لا يوجد بديل يحل محلها ...."[1].

النص السابق يبرز الكاتب مدى سيطرة رضوى على مشاعر فادي، كما نجد الكناية أيضا في قول الراوي : " كان الناس ينظرون إلى موكب الوزير والحاشية في بلاهة وعدم اكتراث "[2].

وهذا النص كناية عن الاستخفاف الذي يوجهه الشعب إلى ذلك الموكب فهم قد أدمنوا عقد المؤتمرات، التي تفضي إلى توصيات تدرس في نهاية الأمر في إدراج الزمن والنسيان، وتظهر الكناية كذلك في الحوار الذي كان بين فادي وأمه عندما تأخر في الرجوع إلى بيته فقالت : " أين كنت يا فادي حتى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

- قلقنا عليك !!
- قلبك جامد يا أخي !!
- وداخل على مهلك !!
- ولا على بالك !! "[3].

فالنص السابق يدل على لا مبالاة فادي وعدم اكتراثه بأي شيء، وكان ذلك بعد اتصاله بشلة رضوى الفاسدة.

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٢٠.

(٢) المصدر السابق صـ ٥٥.

(٣) لمزيد من التفصيل ينظر : السابق نفسه صـ١٤٤/ ٦٦/ ٤٦/ ٣٧.

والكناية لها قدرة في إنتاج تعبير انزياحي لا تماثل قدرة الاستعارة في تكوين هذه الإنتاجية، حيث يرى " أولمان " أن الكناية " لا تملك بالتاكيد أصالة الصورة ولا قوة تعبير الاستعارة، ومع ذلك فهي لا تفتقر إلى القدرة التعبيرية لكي تخلق صورة ..."(١).

ومن العناصر التي شكلت الصورة – كذلك – الاستعارة المكنية، وكان ذلك في قول فادي أثناء شكوكه في نسب طفله، فيقول الراوي : " ظلت الوساوس تحوم حول رأسه، والشك ينغص عليه حياته "(٢).

وكذلك في قوله واصفا لعلاقته برضوى : " لقد طرقت بوابة عمره، ومست كل أوتار مشاعره، نافذة من خلال شغاف القلب الظمان إلى بؤرة الحرمان "(٣).

ولا شك في أن الاستعارة تعد إحدى مفردات البلاغة في الصورة، وهى تعبر عن المشاعر المختلفة من خلال تلك التعبيرات المجازية التي تنمي الحس الجمالي، كما أنها تسم الصورة بالإثارة والفاعلية والحيوية.

ومن العناصر التي شكلت الصورة، الصوت، وظهر ذلك في الحوار الذي تم بين فادي وراشد عندما أرسل اليه نكته، وكان رد فعل فادي " فضحك فادي طويلا لأنه لم يضحك من فترة طويلة، .. "(٤).

---

(١) محمد انقارم : الصورة الروائية صـ٤١ .

* لمزيد من التفصيل : ينظر الرواية صـ٤٩/ ٦٥/ ٩١/ ١٠٣

(٢) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ٨٧.

(٣) المصدر السابق صـ ٩.

(٤) المصدر السابق صـ ٩.

وكذلك نجد هذا الأمر في حوار فادي ورضوىٰ والتشكيك في ولده، فيقول لها :

" – قلبي يحدثني أنه ليس ابني !!

فصرخت فيه وقالت ...

- يكون ابن مين يا فادي ؟ ..ابن مين ؟

فقال لها في جرأة ...

- اسألي نفسك
- فردت عليه مستنكرة ....
- هل أنا متزوجة أحدا غيرك ؟
- فصرخ في وجهها وقال لها ...
- إن الحمل جاء قبل زفافنا ...بدليل أنك وضعت المولود بعد ستة أشهر من الزفاف ...ولم يكمل الطفل تسعة أشهر مثل غيره !! "[1].

كما يظهر ذلك أيضا في حوار وصيفة مع ابنها بعدما علمت أنه أخطا مع رضوىٰ فقالت له : " وما علاقة رضوىٰ برامي ؟ ...ألم تكن زوجها في تلك الفترة ؟

- يا ماما المسائل كانت فوضىٰ !! الاختلاط كان سائدا بين الجميع !! فصدمت وقالت له في زجر وحسم لتعرف نوع الفوضىٰ حينئذ
- إنت عملتها مع غير رضوىٰ !! فنكس رأسه وقال ..
- عملتها كثير ! فضربته بقوة علىٰ صدره وقالت في غيظ ..
- إذن والحال هكذا ....لماذا تلومها وحدها ؟....."[2].

---

(١) أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت صـ١٩٨.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٠٢.

والصوت في النصوص السابقة تمثل في (ضحك، صرخت، قالت في زجر، قالت في غيظ) وهذه الأصوات كانت ذات محتوى دلالي أقوى أثرا في نفس المتلقي، ولهذا فهي تزيد الصورة توضيحا وجمالا. ونخلص من ذلك كله إلى أن الصورة تأتي درجة البلاغة فيها من خلال ما يكتنفها من إيجاز في تقديم الرؤية والدلالة معا عن طريق الإجمال والتركيز في الأداء اللغوي، ولا شك في أن الإيجاز يمد الأسلوب بالإيحاء الفني، وبإثارة وجدان المتلقي وخياله، وتحريك ذهنه[1].

وبعد التطواف في التقنيات التي اعتمد عليها الكاتب لتوجيه رؤيته إلى المتلقي وجدنا أن الكاتب كانت صورة رائعة وألفاظه مختارة ودالة على المراد، فكل كلمة في ذاتها وصياغتها كانت صورة حية دالة نابضة مشعة، وقد استطاع الكاتب بحسه المرهف، وقدرته الإبداعية أن يتتبع ملامح انفعالاته ويقوم على إظهارها وإبراز خلجاتها؛ لذا جاءت روايته صادقة في بنائها المضمونس والفني، فنجح في اختيار الألفاظ التي ساعدت في تجسيم انفعالاته، تلك الانفعالات التي تولدت من هموم الكاتب، فشكلت وجدانه، لذا كانت هذه الرواية التي كتبها الكاتب ليعبر عن كل حدث من الأحداث التي انتابت مجتمعنا وواقعنا الذي نعيشه في تلك الأونة الراهنة.

وقد نجح الكاتب – إلى حد كبير في ذلك – إذ استطاع أن يجعل همه مقصورا على إبراز الفكرة الأساسية، مجتنبا جهد الطاقة، التي تجعله التطرق إلى آفاق أخرى فقد راعى الكاتب حصر عمله في جوهر الموضوع متخلصا في ذلك من طغيان الزخرف حتى لا تطمئ تلك التفاصيل الثانوية هذا الجوهر الجدير بالعناية والإيثار.

والدراسة وجدت رواية بعنوان عندما تسقط أوراق التوت لمحمد رشيد وهذا يدل على تشارك وجدان الأدباء تجاه القضايا التي يعاني منها مجتمعهم.

---

(١) حسن بنداري : فنون علم المعاني صـ٢٣٠ (مكتبة الاداب، ط٥، ٢٠٠٢).

المطلب الثانى

- الإبداع بين الذات والواقع في رواية
- (أمى .....إليك السلام)

الرؤية

تعد هذه الرواية – القيمة ترجمة أمينة لحالة نفسية أبرزت صورة مصغرة لحياة المجتمع المتمسك أفراده بعاداته وتقاليده السلبية، تلك التقاليد التي رفضتها الكاتبة وشاركت بذلك شخوص روايتها، وقد تمكنت من ذلك بما وهبها الله – تبارك وتعالى – من حس مرهف وشاعرية متدفقه استطاعت من خلالها أن تصل إلى وجدان المتلقي، وهذا يدل على ما ذكرته سابقا من العلاقة الوثيقة بين الكاتب والمجتمع الذي يعيش فيه بكل ما به من قضايا وهموم تؤثر عليه، وقد أشار " محمد عنانى " إلى ذلك بقوله : " إن الحياة هي المصدر الطبيعي الذي يخلق منه الفنان أعماله الأدبية وهي المصدر الوحيد لجميع الأعمال الفنية على اختلافها وتنوعها فالحياة قائمة منذ الأزل. والفن ما زال يستقي منها عناصره "(١).

وهذه الرواية تعبر عن العادات السلبية التي تمسك بها أفراد المجتمع – الظالم – فالرواية تحكي قصة أمير يتمسك بعاداته التي تربى عليها فهو يرى أن الاستقرار في القوة والبطش وجفاء القلب؛ ويعمل على ترسيخ تلك المباديء في ولده جيلفورد؛ لكنه يفشل في ذلك؛ نظرا لعدم إيمان جيلفورد بهذه المبادىء، فهو يعشق الحرية والعدالة، هكذا تعلم من أمه كاثرين التي كانت رمزا للمحبة والعطاء، فكانت صاحبة قلب عطوف رحيم، حاولت مرارا أن تغير وجهة نظر زوجها رودلف، لكنها فشلت فهو امن بما تربى عليه هو وأجداده، إننا أمام قصة رائعة استطاعت الكاتبة أن تغرس فكرتها في وجدان المتلقي؛ بسبب تلك اللغة الشاعرية القديمة وفي بداية الرواية نجد كاثرين فرحة

(١) محمد عناني : النقد التحليلي صـ١٠٤ (الهيئة العامة للكتاب، القاهره، ١٩٩١).

مسرورة بعودة ابنها جيلفورد، فقد بعثه والده رودلف إلي مدرسة الأمراء؛ كي يغير من أفكاره التي تربى عليها من كاثرين، وأمر مدرسي المدرسة بمعاملة جيلفورد بشدة، ومضاعفة جدوله بمزيد من الصعوبات، كي لا يستطيع التفكير؛ لكن جيلفورد قد صبر على هذا الإيذاء؛ فأمه كانت دائما تقول له اصبر فأنت أمل هذه المدينة؛ لذا تحمل كل تلك الصعوبات وصمد أمام تلك المعاملات القاسية، حتى أن مدربيه أرادوا تخفيف العبء عليه لكنه رفض، استمر في مدرسة الأمراء، وأمه تعاني المرض والعذاب لبعده، مأساة بحق لكن الأم كانت على يقين وأمل بعودة حياتها إليها، تمنت ذلك اليوم.

وعاد الأمير ورجعت السعادة إلى كاثرين ولكن رودلف كما هو يكره الحب والضعف فاستمر في إبعاد جيلفورد عن أمه، لكن الحب كان فوق كل تلك المحأولات، وهنا قرر رودلف بعث ابنه إلى أرض المتمردين ليحكمها، فراع الخوف إلى كل من الجدة والأم، لكن جيلفورد وافق وقال لوالده رودلف أنا أوافق ولكن أتمنى من والدي أن يطلق لي الحرية لمدة عام في التعامل مع هذه المدينة ووافق رودلف فذهب جيلفورد إلى هذه المدينة فوجد البداية غير مطمئنة فهي صحراء جرداء لا شجر فيها ولا نبات، الظلم فيها قد بلغ مداه، المساجين يتعقبونه باستمرار لينالوا منه.

لكن عزيمة جيلفورد وإصراره واقتباسه القوة من حبه لوالدته التي طالما كانت تقول له إنك ستكون رمز العدالة في هذه المدينة، استطاع بذلك أن يتغلب على المصاعب التي واجهته في هذه المدينة، فمنع الظلم وأرسى قواعد الرحمة والعدالة لهذه المدينة، واتسم بالوفاء لوالده؛ إذ بنى له تماثيل في المدينة كما اتسم بالوفاء لوالدته واستعان بذلك إلى معلمه في مدرسة الأمراء وجيلفورد الطبيب الذي أحب والدته لكن القدر وقف

حائلا أمام تحقق تلك الأمنية التي راودت جيلفورد وكاثرين، وصمد رغم محاولات الكهنة الوقعية بينه وبين رودلف الملك والده، وانتهت الرواية بتحقق كل ما تمنته كاثرين، فعاد الجمال والعدل والحرية إلى المدينة، وغرس جيلفورد في أهلها المحبة والعدالة والتعليم وغيرها من الصفات الحميدة التي يرغب فيها كل إنسان.

(١) التقاليد :-

من المتعارف عليه أن الشعب المصري قد تأصلت فيه كثير من العادات حتى أصبح الإنسان لا يستطيع التخلي عنها، لأن ذلك يعد خرقا للعادات ومخالفا لقانون وعرف المجتمع المصري، وكان المجتمع مشاركا – مع أمور كثيرة – لكثير من الأسباب التي تقف دائما أمام طريق سعادة الفرد، منها أعرافه المتوارثة ومعتقداته السائدة التي مضي عليها قرونا من الزمن، ولم تعد تنسجم مع روح العصر أو المباديء القويمة.

ويرصد الراوي تلك التقاليد بقوله : " فقد غضبت الأميرة عندما سمعت من الجواري ما حدث لها دون علمها أو موافقتها، فقد كانت قوانين العائلة المالكة أن الزواج المقدس للأمراء زواجا أبديا، فلا خلاص لها من قسوة الأمير حتى تنتهي الحياة، وأيضا إذا أنجب الأمير طفلا وليا للعهد لا ينجب غيره، لذلك تجرى جراحة صعبة للأميرات ليصبحن عقيمات، وإذا أنجب طفلة أميرة تظل الزوجة كما هي حتى تأتي بالولد، وإن لم تأت به بعد ثلاث أميرات تجرى الجراحة لها، ومن حق الملك أو الأمير أن يأتي بولد من امرأة غيرها وينسبه للأميرة ويصير وليا للعهد "[1].

(١) هبة الشريف: أمي...إليك السلام صـ٣٦-٣٧ (ط١، ٢٠١٠، الرواد الحديثة– الشهداء – المنوفية).

ومن تلك التقاليد جفاء القلب وقسوته حتى يستطيع الأمير التحكم في هؤلاء الرعاع، وكذلك إبعاد الابن عن أمه، وإرضاعه من غيرها، حتى لا يستمد العطف والحنان منها فيفسد ولا يستطيع التحكم في مشاعره، وأيضا إرسال الأمراء في سن مبكر إلى مدرسة الأمراء؛ كى يعلمونهم ويقومون بتدريبهم وتهيئتهم للإمارة.

وكانت كاثرين رافضة لكل هذه التقاليد؛ لذا سألها رودلف متهكما ومتعجبا " إلى متى ستظل مولاتي متمردة على قوانين البلاد وشريعتها ؟ فأجابت في هدوء لست متمرده مولاي، فقال الملك غاضبا بل تتمرد مولاتي دائما على كل شيء، ونظر إليها مستطردا ألست تعلمين كيف يربى الأمراء وما حدود علاقة الأم بوليدها ومتى وكيف تلتقي به لفترات محددة ؟...."[1].

وكانت محاربة هذه التقاليد ونقد من يستخدمها أمرا لازما على الأديب وذلك انطلاقا من أن " الأدب تعبير عن المجتمع، وبالتالى فالمجتمع هو الذي يشكل العمل الفني ويوضح قيمته، مع إيماننا الكامل بأن المجتمع جزء من الوجود لا يتجزأ، وليس من شك أن المجتمع الذي يعيشه الشاعر يمكن أن يكون مصدر إلهام ووحى لا ينضب "[2].

وسيظل الأدباء منددين بهذه التقاليد السيئة، كما أنهم سيتجهون لها بالنقد اللاذع، ليعبروا عن مساوئها، ويوضحوا أخطارها.

---

(١) هبة الشريف : أمي إليك السلام صـ١٧-١٨.

(٢) محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث صـ١٢(ط دار النهضة العربية ١٩٧٩).

(٢) الحب : -

يقوم البناء الفني لأي عمل روائي معتمدا على أفكار وموضوعات معينة يبرزها المؤلف بقصد تعميق صورته فتتحكم في البناء الفني نحو الحب الذي يتحكم في أحداث الحياة الواقعية؛ بما يحدث فيها من تناقض وعقبات تقف عائقا في طريق المحبين؛ وعليه يقوم بناء كثير من الروايات متحكما في شكلها الفني.

وجسدت الكاتبة تلك الظاهرة من خلال العلاقة بين جيلفورد وأمه كاثرين، ففي بداية الرواية تظهر الكاتبة الحديث الذي كان بين جيلفورد وكاثرين بعد رجوعه من مدرسة الأمراء التي قضى فيها أياما صعبة، فيقول لها : " أخيرا صرنا وحدنا، فنظرت بحنان إليه وتحسست ملامحه بيدها وهي تقول افتقدتك كثيرا كاد أن يقتلني اشتياقي إليك، فنظر إلى عينيها الجميلتين قائلا لم تغيب شمس ملامحك عن عيني لحظة، إنك تعيشين في كياني صورتك معي في كل مكان، فأضاءت الابتسامة وجهها وهي تهمس جيلفورد إن سعادتي أكبر من أن يحتملها قلبي ترفق بي، لقد اعتقدت أن البعد استطاع أن ينسيك كل شيء، لكن فؤادي ظل يؤمن أني دائما معك "[1].

النص السابق يشير إلى صورة رائعة في العلاقة الوطيدة التي جمعت بين كاثرين وجيلفورد ولدها، تلك العلاقة التي لم يستطيع رودلف الملك أن ينال منها، فرغم البعد في المكان إلا أن الضمائر قد جمعت بينهما، ونجحت الكاتبة في إبراز ذلك الحب من خلال استخدامها للصور الجمالية التي أضفت على المعنى بهاءً ورونقا، فأمه تقول كاد يقتلني اشتياقي إليك، إنك تعيش في كياني، أضاءت الابتسامة وجهها، وكلها صور جميلة ترمز الكاتبة من خلالها إلى شدة الحب وقوته بين كاثرين وجيلفورد. وتقول

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٨ .

كاثرين عقب عودة جيلفورد أيضا : " إنني اليوم أحس أن المرض قد تلاشى من صدري وانسحب من كياني، فلماذا يريد الطبيب أن يحرمني من هذا الإحساس ... "[١].

وكذلك نجد الحب بلغ مداه عندما طلب الملك جيلفورد وهو متواجد من كاثرين، فترك والدته وذهب إلى الملك رودلف، وقام الدكتور بإعطاء كاثرين نسبه من المنوم، وبعد وقت قصير رجع إليها الطبيب فوجد الملكة مستيقظة فاستطرد بدهشة وقال : " كيف استيقظت مولاتي ؟ قد أعطيتك نسبة من المنوم فابتسمت قائلة لقد أيقظني فؤادي ... "[٢].

ونجد الملكة العطوفة تقول عندما شعرت بقرب منيتها : " أعرف أنني سأفارقه قريبا، لن يكون له بعدي قلب يحبه أو يشفق عليه، سيكون وحده غارقا بين مرارة فراق وقسوة حياة جافة بلا حب "[٣]، وعندما كان يشعر جيلفورد بالتعب من قسوة رودلف كانت تقول له لتساعده " عليك أن تتحمل قسوة الملك وتعتاد عليها، وازرع له بين جوارحك زهرة محبة احرص على أن ترعاها وتهتم بها وتجعلها تنمو، ويجب أن تصدق أن الملك يحبك لأنك ولده وسوف يحتاج اليك "[٤].

إن الكاتبة برعت في إظهار ما يجيش في صدر كاثرين عندما أحست بقرب منيتها؛ إنها تزداد حسرة وألما لفراق جيلفورد، بعد أن يواريها التراب، وتقول : " إنك لا تعرف سيدي مقدار قسوة القلوب هنا إنها كوادي نضبت كل ينابيعه، وذبلت كل أزهاره فلا

(١) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ١٠.

(٢) المصدر السابق صـ ١١.

(٣) المصدر السابق صـ ١٣.

(٤) المصدر السابق صـ ١٥.

صوت فيها للحب ولا نداء للرحمة...وأنا كل شيء له ....إنني له زهرة الصبر المزروعة في حياته اه لم أكن أعرف أن الملك سيأخذه مني مرة، ويأخذني الموت منه للأبد ...."[١].

ثم نجد الأم دائما – تقوم بنصح ولدها، فهو نور حياتها؛ لذا نشاهدها تأخذ ابنها في حنان وهي تتمتم " إنها الحياة الحقيقية فامنح الناس كل ما تملك من حب، فأنا لن أغيب عنك، سأراقبك من بين أهداب القمر، وسأسالك عن حلمي الذي صار فجره قريب فتحمل يا ولدي من أجله وأجلي كل مشقة وقسوة وعناء ...."[٢].

كما تظهر كاثرين أهمية الحب، الذي يستطيع الإنسان من خلاله إلى الوصول إلى كل ما يتمناه، فتقول : " إن حبي لك جعلني قوية قادرة على تحدي العالم من أجلك، قالت لي اجعل من الحب قوة تحررك من الظلام ...."[٣]، وكان هذا الأمر متوفرا في جيلفورد الذي يتعجب من أفعال رودلف الذي يتخيل أن العلاقة بيني وبين والدتي قد ينقطع، فهو يريد وأد مشاعري؛ لذا يقول : " لم يتصور الملك لحظة أنها تسكن بين جوارحي، ولا يمكن لمخلوق مهما كان انتزاعها من أعماقي، فهي تسري في دمي أفكر فيها عند انفرادي بنفسي وأهيم ذكراها ..."[٤].

(١) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ١٩.

(٢) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ٢٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٥١.

(٤) المصدر السابق صـ ٥٣.

وأخيرا نجد استسلام الملك لجيلفورد عندما قال له : " إن إخلاصك لها أمر يخصك ..."[1] ، وكان جيلفورد محقا في تمسكه بوالدته لأنه فضلا عن عاطفة الأمومة؛ فإننا نجد الملكة متسمة بكثير من الصفات الحميدة، منها العطاء الذي يعبر عنه الراوي بقوله : " وعند أحد الأشجار توقفت الملكة وتوقف معها الأمير، فناولته عدة أكياس من القماش، وقالت هيا يا ولدي، فسألها اتفعلين ذلك اليوم ؟ ...."[2].

وهذه الشجرة أطلق عليها شجرة الإحسان وذلك لفضلها الواسع على الفقراء، فكانت الملكة تحلم أن ينتهي الفقر ويقضى على المرض، ثم يعبر جيلفورد عن الحسرة بعد فراق والدته، فيقول : "وعندما تجمع لدي مال وفير عدوت إلى مخدع أمي لأطلب منها أن تأتي معي لنعلقه في شجرة الإحسان، أرد أن أسعد قلبها، فسدد القدر سهما مسموما إلى القلب والعين ..."[3].

ثم يتضح الحب من خلال جيلفورد الطبيب الذي كان يعالج كاثرين وقد أحبها، لكن القدر وقف حائلا دون الوصول إلى الأمنية وهى الزواج، وقد ذهب جيلفورد ابن كاثرين إلى جيلفورد طبيب أمه؛ ليساعده في مدينة المتمردين، فيقول له : " إنما جئت لمن شاركني في قلب أمي ...جئت لمن كان ممكن أن يكون أبي ....."[4].

---

(١) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ ١١٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٦٥.

(٤) المصدر السابق صـ ٩٤.

ونخلص مما سبق أن الحب سلاح قوي لا يستطيع أحد أن يفتك به، وأن المرأة لها دور حيوي في المجتمع؛ إذ تقوم بتربية النشء، وتغرس فيهم أجمل العادات وأروع القيم؛ لذا كانت المجتمعات المتقدمة هي التي تهتم بالمرأة، بل تجعلها موضع تقدير واحترام في نظر الرجل والمجتمع ككل؛ إذ إنها تعد " روضةأنسنا وريحانة قلوبنا أينما تظهر، وروح الحياء وجمال الوجود أينما تخطر، وجمالها يسبي ويستخف أجحد الناس قلبا وأجمدهم عاطفة "[1].

(٣) النضال والصمود :-

لقد جعلت الكاتبة جيلفورد بمنزلة قائد الحرب تلك الغزاة الباغين وكانت هيٰ بمنزلة كتاب الثورة، الذين يلهبون حماس الشعب ويوقظون حفائظ القادة للتحرير والتطهير، فسخروا أقلاعهم للحث علىٰ الجهاد، ونددوا بالتخاذل والجبن، وأشادوا بشجاعة الأبطال وإخلاصهم لوطنهم، وتفانيهم في سبيل الواجب والحق.

وقد جسدت الكاتبة صمود جيلفورد في بعده عن أخلاق رودلف الفاسدة، فوالده كان دائم السخرية من تطهر ولده وتعففه، وقد عبر الراوي عن ذلك في قوله : " فقال الملك وهو يربت علىٰ ظهره هيا يا ولدي نعد للقصر حيث السمر والبهجة، فقال الأمير في احترام لبيك مولاي يحرمني من هذا الشرف، فقال الملك مازلت متعففا...

ما الضرر أن تحصل علىٰ متعة تملكها وأنت تملك كل شيء، فلا تكن زاهدا، فقال الأمير في هدوء عفوك مولاي لم أكن مستمتعا بذلك، وليس اللهو متعتي ..."[2].

---

(١) أحمد محمد الحوفي: وحي النسيب في شعر شوقي صـ٨(ط١، مطبعة العلوم بالقاهرة، ١٩٣٤).

(٢) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ ١١٥.

والكاتبة بذلك تعلن عن تصديها للعيوب والمفاسد الخلقية، فهي تنشد الإصلاح والتقويم، وتظهر سخطها على تلك الأوضاع الفاسدة، التي ورثت المجتمع الفقر والمرض، فأضعفت الوازع في القلوب، ومن هنا كانت هذه الرواية صورة حية نابضة بما أصاب الناس من فساد خلقي.

ومن صمود جيلفورد أيضا، تحمله التمارين القاسية التي أعدها له والده في مدرسة الأمراء، تلك التمارين التي أدت إلى سقوطه أرضا من شدة الإعياء والإرهاق، ورغم ذلك صمد وقال سأواصل تدريبي " ولا أعرف من أين أو كيف استجمعت قواي المهاجرة لأعدو بك ذلك الحماس والقوة، كان الغضب ورفض إشفاق وإحسان من حولي يدفعني كطاقة لا مثيل لها .."(١).

كما ظهر صموده ونضاله الثوري مع الكهنة الذين حاولوا أكثر من مرة الوقيعة بينه وبين والده، لكنه لذكائه وصموده ومساندة المعلم في مدرسة الأمراء والطبيب جيلفورد، كل ذلك ساعده في التغلب على دهاء هؤلاء الكهنة.

ونجد ذلك الصمود والنضال في تحمله لظلم والده له، فعندما وجد الملك الأمير يجلس في المقصورة التي كان يجتمع فيها مع والدته، ينهره بقوله : " ألم تصبح رجلا حتى بعد كل تلك السنوات " مازلت طفلا .....فتساءل الابن لماذا يحأول الملك أن يحرمه من كل شيء يحبه ويرتبط به ؟ لماذا يغلق كل أبواب السعادة في وجهه ؟....."(٢).

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ ٥٣.

(٢) المصدر السابق صـ ٨.

كما نجد الصمود عندما يتمنى العودة إلى مدينة المتمردين، بدلا من الوجود بجانب والده في تلك المدينة التي تمتلىء باللهو والمجون والعبث فيقول له والده : " أي الطرق اتبعها لإصلاحك، وإصرافك، عن ما تنوي ؟ فقال الأمير في تساؤل هل يمكن أن ينصرف المرء عن نفسه، إن حلم العدالة جزء من تكويني، من كياني، لا يمكنني نزعه من تفكيري ... "(١).

ويظهر صمود جيلفورد عندما كان يحاول ترسيخ مباديء العدالة عند والده،، فكان كثير النصح له، فيقول :" مولاي إن العدالة لن تكلفك الكثير، ولا تشك لحظة في أن المرض والفقر والقهر هم مقاليد أي ثورة ..... "(٢).

لقد اتسم جيلفورد بالقوة والكبرياء فتحمل كثيرا من رودلف، وعندما أمر الملك إرساله إلى مدينة المتمردين خافت عليه الملكة، لكنه قال في كبرياء : " عفوا مولاتي إنني لها هذه المدينة ....ولقد منحني مولاي شرف الإمارة وأرجوه أن يمنحني حرية حكم المدينة لمدة عام .... "(٣).

ويبلغ جفاء الأمير- وصفاته الغريبة – مداه، عندما يمنع جيلفورد من البكاء على والدته ويعبر جيلفورد عن ذلك بقوله : " لم يكن أحد منهم بقادر على أن يقدم لي عزاء أو تعويض، فأوصدت كل الأبواب على نفسي وأحزاني وأصبح قبرها مأوي الوحيد ...حاول الملك بكل قوة أن يمنعني عن البكاء، ليس ليخفف عني لكن لأنه يرى أن

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ ١١٢.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق صـ ٧٢.

الدموع ضعف .....فأمر بجلدي حتىٰ أكف وأصبحت الدموع تجرح كبريائي وتهين كرامتي .....إنني لم أنجب رجلا ليته مات معها ...."[١].

وتجسد الكاتبة الغربة التي انتابت جيلفورد بقول الراوي : " فأصبح كمن ضل طريقه للموت، وتشابكت دروب الحياة وضاقت عليه، فهو يكاد أن يكون سجين القصر لا يغادره إلا بأمر ولا يخطو إلا بإذن ...."[٢].

تلك الغربة شعر بها أيضا في مدرسة الأمراء، فهو يعبر عن وحدته خلالها، فيقول : " وما أرسلني هنا إلا لسفك دماء محبتها، ولكني كنت أثق إنها تفكر في أكثر مما أفكر فيها ....وكانت أوامر الملك أن تنهك قواي بكل طريقة كىٰ لا أجد قوة أفكر بها فيها ....أراد الملك أن يعزلني من الحب والحنان ...."[٣].

والاغتراب كما يرىٰ الدكتور " علىٰ وطفه " حالة يتعرض فيها جوهر الشخصية للقسر والإكراه ف" الإنسان كينونة جوهرها العقل، والحرية، والعمل والانتماء، وكل ما من شأنه أن يمس هذه الأبعاد .....يدفع بالشخصية إلىٰ حالة الاغتراب والاستلاب "[٤].

وكانت هناك دوافع كثيرة أسهمت في صمود جيلفورد، منها الاعتداء الصارخ علىٰ الحرمات والأطفال والشيوخ، وتشريد الآلاف من هذا الشعب الآمن الأعزل، هذه

---

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ ٦٨.

(٢)المصدر السابق صـ ٣٠.

(٣) المصدر السابق صـ ٥٢.

(٤) علىٰ وطفة : المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية صـ٦٤ (مجلة فصول، المجلد السابع والعشرين، العدد الثانى، اكتوبر ديسمبر ١٩٩٨).

التصرفات المشينة التي خرجت عن القيم الإنسانية كانت محفزة للهمم وموقظة للشعب المتمثل في جيلفورد، وقد خلد مجدا لأمته وشعبه، نتيجة ما قدمه من تضحيات، وما حققته من أهداف تركت للشعب أثرا يحتذي.

وقد أكدت الكاتبة أن هذا العصر الذي زعم الملك والكهنة أنه عصر تقدم، إنما هو عصر خداع ونفاق واستبداد واسترقاق، ومن المتعارف عليه أن العصر كما أثبتت الوقائع التاريخية الثابتة – هو عصر قوة وعتاد وبطولة وأبطال، وشجاعة وإيمان، وإقدام وإتقان في سبيل الحق، وفداء وتضحية من أجل المباديء والعقيدة والوطن والشعب، وما دام الشعب المؤمن يملك هذه القوي – ماديا ومعنويا – فإنه لقادر وجدير بأن يخوض معارك عدة أمام هؤلاء الأعداء.

(٤) التعاون :-

ونعني به روح التعاون بين الشخصيات، التي تتضح من خلال مقدرة الشخصية في إظهار إيجابيتها عند تعاملها مع المواقف الحياتية التي تقابلها، إذن فهي روح تحرك الفرد نحو إيجاد شخصية مستقلة له، من خلال وضوح رؤيته نحو المواقف التي يتعرض لها.

ومن النماذج الدالة على ذلك، وقوف المعلم في مدرسة الأمراء بجانب جيلفورد في أرض المتمردين، ففي الوقت الذي أرسلت فيه الأم له رسالة إلى ابنه في مدرسة الأمراء، هنا يساعد المعلم جيلفورد حيث يكون همزة الوصل بين جيلفورد والرسائل التي ستأتيه من والدته فيقول المعلم : " الآن عليك أن تختار يا ولدي بين خوفك ولهفتك ....حسنا يا ولدي ننفذ ما اتفقنا عليه، فصافحته في حرارة قائلا في امتنان

أشكرك سيدي، سأظل عمري أسير معروفك، فقال في تواضع لا داعى للشكر يا ولدي ..."[1].

وكذلك نجد من هذه النماذج وقوف الطبيب جيلفورد بجانب جيلفورد ابن الملك، وكان في بداية الأمر لا يرغب في هذا العمل، لأنه قد فشل في معالجة روحه كاثرين والدة جيلفورد، ولكن بعد استرجاع جيلفورد للذكريات إلى الطبيب، قال الطبيب : " ويحك أيها الأمير ويحك، لقد أيقظت في قلبي الذكريات، أيقظت ذلك المارد الجبار والنداء الخفي الذي أهرب منه .....ويحك أيها الأمير إنك لا تعرف شيء؛ إنك لا تعرف كم أحببتها ...كاثى يا حبيبة الروح ونديمة الحواس، أعرف أنك تريدنني أن أعود مع الفتى وأعاونه ..."[2].

ثم نجد قول الصديقيين له عندما كان يشعر باليأس : " دافع عن حلمك وعن نفسك ولا تدعهم ينتصرون عليك ...."[3].

هذا كله فضلا عن وقوف والدته بجانبه، فكانت الشمعة المضيئة في ظل هذا العالم الفاسد؛ لذا فعندما توفيت نجد أثر تلك الوفاة على جيلفورد، فقد تدثرت بالصمت خطواته، وتلفحت بالحزن أصواته، فقد اختفت الحياة من أعماقه، وسرى النبأ الحزين في كل البلدة، وبأرجاء عالمنا طاف، وعلى كل الجباه ترك الأسى، وفي القلوب خلع الحزن، ماتت الإنسانة التي طالما تغنت بالعدالة، ولكن ظل موقفها يطوف كل البلاد؛ ليخاطب أعمق ما في وجدان الإنسان.

---

(١) هبة الشريف:أمي ...إليك السلام صـ ٥٩.

(٢)المصدر السابق صـ ٩٨.

(٣) المصدر السابق صـ ١٠٨.

وقد نجحت الكاتبة في تقديم هذه الإيجابية التي تمثلت في جيلفورد وكاثرين والمعلم والطبيب، وأمر طبعي أن نجد الشخصية الإيجابية من أهم وأثرى الشخصيات؛ فهى تشارك في صنع الأحداث تاريخية كانت، أو اجتماعية؛ ولهذا يقول د. " عبد الفتاح عثمان " إن الشخصية الإيجابية هي الشخصية التي " تتميز بقدرتها على صنع الأحداث والمشاركة في تطويرها، واغتنام الفرص التي تسهم في تشكيل حركة الحياة والتأثير فيمن حولها من الشخصيات، واتخاذ مواقف إيجابية في انفعالاتها ومشاعرها، ومواقفها من الاخرين والحسم في القضايا المعلقة بعيدا عن التردد والميوعة الفكرية والعاطفية، التي تصيب الشخصية بالترهل، وتفقدها وزنها، وقيمتها في صياغة الأحداث "[1].

(٥) الولاء :-

لاشك أن الرواية تهتم بتهذيب الأخلاق وتقديم الحقائق التي تثقف العقل في قالب من القصص، كما أنها تقوم بتنبيه الغافلين من الخاصة وتؤثر في أخلاق الجمهور العام، ومن أهدافها كذلك توجيه الناس نحو الحق والخير والحرية ضد القمع والفساد والاستعباد.

وقد جسدت الكاتبة صفة إيجابية تجلت عند جيلفورد، وهي صفة الولاء، ونلاحظ ذلك في معاملته مع رودلف الوالد القاسي الذي كان يريد وأد مشاعر ولده، فعلى الرغم من ذلك نجد جيلفورد ينسب أعماله العظيمة إلى أبيه، فيقول لشعبه : " ما أنا إلا حاكم بأمر الملك العظيم رودلف، فدعونا نهتف جميعا له ..."[2].

(١) د. عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية صـ١٢٠ (ط مكتبة الشباب، القاهرة، د٠ت).

(٢) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٨٤.

وحدث ذلك عندما ذهب مع الحارس إلى حيث ينام السجناء، ولم يستطع الجلوس طويلا؛ لأنها غير منظفة، وقال : " أريد أن تنظف تلك الأماكن جيدا، إن الحيوان لا يطيق المكوث فيه ... أسرع الخطى وهو يقول أكثروا من نوافذ التهوية، علم السجناء جميعا بما فعله أميرهم، فاجتمعوا وأخذوا يهتفون له ....."[1].

كما يظهر هذا الولاء في طلبه لرجل قد قام بصنع تمثال لكاثرين الملكة أن يصنع تماثيل أخرى للملك رودلف، ليضعها في مواضع مختلفة تقام عند أبواب المدينة وساحات المعبد، ويتضح أيضا هذا الولاء في رده على والده بعد أن علم بالتغيير الذي قام به جيلفورد في مدينة المتمردين فقال :" ربما يكون حديثي بلا قيمة لدي مولاي أدعوا الرب أن يهديك للقرار واطمئن مولاي أني سأطيع أمرك مهما كان، وإن أمرت بقتلى سأقتل نفسي راضيا لإرضائك مولاي "[2].

ويتمثل ذلك الولاء كذلك في علاقته بالمعلم في مدرسة الأمراء، فهو لم ينساه ولن يستطيع الابتعاد عنه، فقد تعلم منه الكثير، ويصف لنا ذهابه إلى المعلم بقوله : " أمر الأمير حراسه أن يتابعوا السير دون توقف أو إبطاء، وانشغل بأفكاره وذكرياته عن الطريق والسفر وعن كل شيء، فلم يشعر بتلك المسافات التي قطعها، وبعد أيام وجد نفسه عند أبواب مدرسة الأمراء، فأطلق الشوق زئيره، فترك كل شيء ودلف بلهفة إلى حجرة المعلم الصديق ...."[3].

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٨٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق صـ ٩٠.

(٦) النزعة الإنسانية : -

من المتعارف عليه أن الأديب منوط به نشر المباديء السامية، والمثل العليا بين الناس، والدعوة إلى الإخاء الإنساني، والعمل على قيام مجتمع أمثل يسوده العدل والرحمة والمحبة والحنان، وهو ما تهدف إليه الإنسانية فهي تعني : شعور الإنسان بتعاطف عفوي تلقائي مع أمثاله من بني البشر متجاوزا بذلك الأنانية العمياء، وحب الذات الضيق ...."[١].

وقد ظهرت تلك النزعة الإنسانية في مواقف كثيرة عند جيلفورد فمثلا عند قدومه إلى مدينة المتمردين يرى كثيرا من ألوان الظلم الذي يأبى قلبه وعقله وتعليمه أن يقبلها، فهو يقابل فتاة تجمع الأخشاب للمحرقة التي أقامها المعبد لوالدها الذي قتل أحد فرسان الملك، تلك الفتاة كانت جميلة وعلى وشك الزواج من ابن عمها، ولكن بعد علمه ببراءة أبيها وأنه ما قتل إلا للحفاظ على شرفه، سامح الأب، وقال لحراسه إن ذلك الحارس قد نال ما يستحقه لقد استهان بشرف العباد فاستهانوا بحياته، وتعجب الكاهن من فعل الأمير.

كما نجد تلك النزعة الإنسانية في إحساسه الذي امتلأ بالحزن لكل ما راه عند قدومه تلك المدينة " فالشقاء يظهر واضحا في كل شيء حوله والجميع يكدحون في صمت واستسلام، تكاد تكون ملامحهم واحدة، فالظلم والعناء والجوع غزلا خلايا الجميع بإبرة واحدة "[٢].

---

(١) د. طه زيد : النزعة الانسانية في شعر معروف الرصافي صـ٥٥ .

(٢) هبة الشريف أمي إليك السلام صـ ٨٠.

ويصف لزوجته تلك الأوضاع التي لم يكن يتخيلها، فالتعذيب للمساجين مستمر وبطريقة مبالغ فيها ويقول لها : " إن الأوضاع أسوأ مما أتصور .. أهناك شيء قادر على أن يبدد هذا الظلام الحالك ..."(١).

إن جيلفورد رفض الظلم الموجود في تلك المساجين، التي تشكل الانتقال من العالم الخارجي (عالم الحرية) إلى الداخل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات والأشغال الشاقة والتزام بالمحظورات، ولا شك أن السجين يعاني من العزلة والإحساس بالذنب كثيرا – إن كان مذنبا – لكننا لا نجد مثل هذا الشعور لدى النزلاء السياسين والمعتقلين المناضلين الوطنيين، لأن هؤلاء لديهم من الوعي وصلابة الإرادة؛ بحيث يحولون فترة إقامتهم في السجن إلى فرصة للاتصال والاحتكاك مع السجناء الاخرين، ولا سيما أمثالهم.

كما تظهر نزعته الإنسانية في عطفه على الفقراء والإحساس بهم وهذا الأمر قد تأثر به من والدته الملكة كاثرين، التي تتعجب من وجود فقراء مع أنها تدفع كثيرا للمعبد والكاهن الأكبر، وهذا ما يعني أن السرقة مستمرة في ذلك العالم، الذي تسبب فيه رودلف، وكان ذلك في هذا الحوار :" سألته بصوت رقيق ماذا كنت تريد ؟، واشتد بكاء الرجل وقبل ثوبها وقال عفوك مولاتي أنا هنا لأسرق طعام لأولادي الجائعين، تحركت خوفا منه فقال في جزع مولاتي ارحمي رجلا فقيرا ولا تدعي الحراس، سيقتلونني مولاتي ويموت أبنائي جوعا، جلست إلى جواره وقالت إني أدفع الكثير

(١) هبة الشريف أمي إليك السلام صـ ٨٢.

للمعبد ...فقال في غضب لا شيء يصل إلينا مولاتي هناك الالاف يموتون جوعا، هناك الكثير من المشردين .. "[1].

وتناولت الكاتبة مشكلة الفقر؛ لأنها تعد من أهم المشكلات الاجتماعية التي عرض لها الكتاب، وخاصة كتاب الطبقة الفقيرة أو المتوسطة، وللفقر خطورة كبيرة، فعليه تدور أسباب الفساد الأخلاقي، وانتشار الجرائم من أجل الحصول على المال، وانتشار الجهل بسبب قلة المال، وعدم القدرة على إكمال التعليم.

كما يظهر الراوي مشكلة الفقر من خلال حديث جيلفورد عن الرعاع، وخوفهم من الحراس، وقد حدث حوار بينه وبين الكاهن، إذ رغب جيلفورد في الجلوس مع هؤلاء الرعاع، لكن الكاهن قال له في خبث إنها أرض المتمردين وسيقومون بإيذائك، فقال ساخرا له، ألم تشاهد مناظرهم ؟ إنهم في غاية الضعف والانكسار وعندما خرج الحراس إلى هؤلاء الرعاع فروا جميعا إلا طفل جميل وكان هذا الحوار : " إنك غلام جميل بارك الله فيك، ولكنك هزيل للغاية، ألا يطعمك والدك ؟ فأجاب الغلام وقد بدأ يطمئن إننا لا نجد الطعام مولاي ... "[2].

لقد تعجب الأمير من رد الطفل وقال في نفسه : " لو كان مكانه رجل كبير ما قال عبارته الصادقة الشاكية، إنما يشكر الأمير على نعمه ورغد عيشه، ولا يقول أبدا أنه جائع في أرضه فقير في ملكه، يجب أن يحمد العبد نعم الملك ويدعو له ....."[3].

---

(١) هبة الشريف:أمي ...إليك السلام صـ ٤٥.

(٢) المصدر السابق صـ ٧٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٧٦.

لقد كان جيلفورد محبا لأهله ووطنه، وقد جعل من نفسه طبيبا يداوي جرح والام شعبه، وقد تجسد ذلك الأمر عندما سمع حديثا بين رجل وزوجته وابنهما المريض، وهي تزداد غضبا من الملك وما أحدثه فيهم من فقر وغيره وتقول لزوجها : " ولدنا المسكين يموت، ولا نملك من أمرنا شيئا فليسمعني الأمير ويقتلنا مرة واحدة؛، إننا نموت ببطء ...فهتف الرجل في جزع اصمتي يا امراة ...فدخل الأمير عليهما فسقط الرجل فزعا وهتف ..سأقطع لسانها ...فقالت إنك قاتلنا لكن أرجوك. أتوسل إليك دع ذلك المريض يموت كما كتب له الله ...وأخرج الأمير بعض الأعشاب قائلا ضعيها في بعض الماء على النار ...أعطيه منها ثلاث مرات أخرى وسيشفي بأمر الله..."[1].

إن النص السابق يوضح مدى نزعة جيلفورد الإنسانية، وهذا ما دعا السيدة لأن تقول له إنك رحمة السماء المهداة، وقد ظهر الموقف نفسه مع الرجل الذي اتهم بقتل رجل من رجال الملك، وكان هذا الحوار : " ليت بإمكاني أن أطلق سراحك ومد الأمير يده نحو وجهه ليمسح بقطعة من القماش المبللة دمائه المتجمدة فأبعد الرجل وجهه قليلا ... سيدي لا يجوز أن تضمد جراحي بيدك الطاهرة، فقال الأمير في أسف ألسنا السبب فيها ...لقد أرسلت للملك التماسا للعفو عنك .."[2].

ونجد النزعة الإنسانية عند جيلفورد الذي ينادي بالعدالة، من خلال اعتراضه على السياسة التي يقوم بها الكهنة إزاء الشعب من السرقة، وحرمانهم من أجرهم الذي يستحقونه بعملهم، فيقول الكاهن : " أي إيمان هذا تحرمون الكادحين من حقهم باسم

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ ٧٣.

(٢) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ٨٤ ٧٨.

الله، وتمنحون من لا يستحق باسم الله .. من اليوم لكل من يعمل في المعبد وغير المعبد أجر يوازى جهده وعمله "[١].

كما ظهر في دفاعه عن الرجل الذي قتل الحارس، بعدما عرف أسباب ذلك، وأنه كان يدافع عن شرف ابنته، فقال : " نال ما يستحقه لقد استهان بشرف العباد، فاستهانوا بحياته "[٢].

ولرغبته لإرساء العدالة بين الشعب، قام متنكرا بين الناس حتى يرى ويسمع ويعرف ما " يعاني الرعاع منه، وفيما يفكرون ....لا تخشين على من شيء فالله معي وهو خير حافظا ... "[٣].

ومن نزعته الإنسانية دعوته الدائمة إلى العلم، ولا شك أن التخلف الحضارى " المرعب، والتقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم، لم تسمح إلا باقل مما يمكن للثقافة المصرية أن تحرزه من نجاحات، ولا شك أن هذا المناخ المتخلف والمعادي للديمقراطية قد أتاح الفرصة كاملة أمام الثقافات الرجعية المتعددة الأصول ....."[٤].

والتعليم له دور رئيس في النهضة بالمجتمع؛ لذا كان اهتمام جيلفورد به، وكذلك الشيوخ فيقول الشيخ الذي ذهب إليه كثير من الناس ليأخذوا منه النصيحة في هذا الأمير، فقال : " وتعلموا فيزداد بكم الأمير قوة، ويواصل ثورته التي يقودها في نظام

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ٧٧.

(٢) المصدر السابق صـ ٨٢.

(٣) المصدر السابق صـ ٧٨.

(٤) د. غالي شكري : ثقافتنا بين نعم ولا صـ٢١ (ط٣ ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٩١).

وحكمه، وحافظوا على حياته أكثر مما تحافظوا على حياتكم، فأعداء عدالته كثيرون ..."[1].

وظهر ذلك في طلب جيلفورد من المعلم في مدرسة الأمراء مساعدته في تعليم هؤلاء الرعاع وتدريبهم، وكذلك دعوته للإصلاح، فقد طلب اجتماع معلمو الحرف والمهن إليه، وبدا الاستماع إليهم في أوضاع كل حرفة وما يلزمها، ويقول الراوي عنه : " وتابع إصدار أوامره بزراعة الأرض الجرداء الشاسعة في أطراف المدينة، وتحسين الري وتطهير المجاري المائية وتعميقها، وتمهيد الطرق وبناء المساكن، وبناء مدرستان إحداهما ملحقة بالمعبد لدراسة الدين والتاريخ واللغات وأخرى لدراسة الحروف والصناعات والزراعة والطب ..."[2].

لقد امتلك جيلفورد المشاعر والأحاسيس التي تتأثر بسرعة وفاعلية بالقضايا الحياتية التي يعاني منها شعبه، سواء أكانت تلك القضايا وليدة البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان، أم كانت وليدة العذاب الإنساني العام، والكاتبة جسدت ذلك؛ انطلاقا من أن الكاتب يعيش ضمن مجموعة من البشر، يتبادل معهم التاثر والتاثير، فهو لا يعيش منعزلا عن مجتمعه؛ بل يشاركهم – دائما – الهموم والتطلعات؛ لذا فهو يسعى دائما إلى معالجة قضايا مجتمعة التي تقف عائقا في طريق هذا التحرك المستمر والمتطور.

ومن المتعارف عليه أن جيلفورد ما كان له الوصول إلى كل ما تمناه إلا لامتلاكه ذكاء وهبه الله إياه، ولاشك أن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات بالعقل؛ فيه يكون

(١) هبة الشريف: أمي ...إليك السلام صـ٨٩.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠١.

التفكير والاستدلال، ومن خلاله يقف الفعل الإنساني وقف الناقد والمحلل ؟ لذا فيعد الإنسان " الغاية القصوى لا النظريات ولا الأنظمة، فإن هذه تشتق قيمتها من الإنسان، وليس يشتق الإنسان قيمته منها "[1].

ومن النماذج التي أشارت إلى ذكاء جيلفورد في التعامل مع والده في الحوار الذي حدث بينهما، فيقول رودلف : " لو وضعت بين يديك مجرما لصا. ماذا تصنع به ؟....أولا اساله لماذا سرق ؟، إن سرق لجوع وإملاق أطلق سراحه وأعفو عنه وأسد حاجته داعيا أن يغفر لى الله بلوغ الفقر أقصاه في ملكى ويسامحني على عدم إحسانى عليهم ونسياني همومهم وأنا القائم عليها، وإن سرق عن حب ثراء وطمع أسجنه وأصلح من شأنه ...."[2] فكانت هذه الإجابة غريبة على الأب، فقد صدم بها، وعلق عليها بقوله : " وا أسفاه أيها الأمير لقد تعلمت وأحسنت الأداء، لكنك لم تتعلم كيف تكون ملكا "[3].

لقد تمنى الأب أن تكون إجابة جيلفورد قاسية، فيقتل ذلك السارق؛ فالأب يرى أن الأرواح والنفوس والأجساد كلها ملك لجيلفورد كما أنه يملك كل ما في السماء والأرض، وأنه لن يحاسبه مخلوق أو يراجعه فيما فعل، فأجابه جيلفورد بقوله : " ما

(١) رئيف الخوري : الإنسان القيمة الاجتماعية العليا صـ٥٠ (مجلة الاداب ، عدد١) نقلا عن د٠طه زيد (النزعة الانسانية في شعر معروف الرصافي)

(٢) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٦٢ .

(٣) المصدر السابق صـ ٦٢.

أملك روحه حتى أنزعها ..أصنعت روحه مولاي حتى تملكها ....فقال الملك في قسوة لم أنجب رجلا .."[1].

كما يتمثل هذا الذكاء، عندما دافع عن الفتاة التي دخل والدها السجن، إذ قال الأمير لكاهن مدافعا عنها : " أبلغ جلالة الملك أن الأمير ادخر الفتاة لنفسه ..."[2].

ولاشك أن الأمير لم يتسم بصفات الفسق حتى يبتغي هذه الفتاة لنفسه، إنه فقط أراد أن يبعدها من بطش الكهنة.

ويتضح ذكاء جيلفورد أيضا، عندما يحاول بكل الطرق إقناع الطبيب جيلفورد الإتيان معه إلى أرض المتمردين، فيستخدم لذلك كل ما يملك، إذ بدا على الطبيب الرفض لحزنه على عدم مقدرته لإنقاذ روحه من الموت وهي كاثرين، فقال له الابن : " إن الموت ليس شيئاً شيئاً ...إنه الحرية .....تحرر الروح من الجسد الذي قد يملكه الآخرون، فيسخرونه من أجل أنفسهم، وبالموت يتحول ذلك الجسد إلى لاشيء ...ولكي نستطيع أن نعيش في هذا العالم علينا أن نؤمن أن روحها الآن سعيدة تراقبنا وتسألنا ماذا قدمنا لهؤلاء الذين حملت على عاتقها مسئولية إسعادهم، وعلينا أيضا ألا نأسف أن الأقدار قذفت بها إلى أرضنا فهي لم تحقق سعادة لنفسها، فقد كانت هي سعادة الشعب "[3].

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٦٣.

(٢) المصدر السابق صـ ٨٧.

(٣) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٩٦-٩٧.

ومن القيم التي اتسم بها جيلفورد نبله في اعترافه بالتقصير في حق جاكلين زوجته والاعتذار إليها أكثر من مرة، كما أنه قد اعتذر لها هذا الزوج، فقال : " آسف على كل شيء صدر مني ...ولو كان الأمر بيدي لأطلقت سراحك الآن وتركتك حرة تختارين من جديد من تعيشين معه عمرك القادم، فقالت لا أريد سواك "[1].

ونخلص مما سبق : إلى أن جيلفورد كان صاحب إنسانية خاصة، ولذلك فقد شارك المعذبين والأشقياء والمشردين وغيرهم ممن صرعتهم الحياة، فدافع عن قضاياهم، وسعى جاهدا إلى الخلاص من سلبيات تلك القضايا، كما أنه قد نادى بالحرية التي تنمي في الإنسان الضمير الحي، وتعمق إحساسه بالحياة، وتغذي تلك البذرة الإلهية المتمثلة بالرحمة؛ لترفع الإنسان إلى مراتب مرتفعه في الإحساس بالآخرين ومشاركتهم همومهم.

كما نستطيع القول بأن الكاتبة قد تأثرت بهذا الواقع المر، لذا نقلته نقلا صريحا، ولا شك أن القضايا التي عالجتها الكاتبة كانت في غاية الأهمية، لأنه بالكشف عنها سوف يعلم المتلقي مواضع الإصلاح والإفساد في مجتمعه؛ فيسعى إلى القضاء على هذه المفاسد، لينال ما يتمنى من رخاء وتقدم.

" التشكيل "

إن المتأمل للأعمال الإبداعية – الروائية – يجد أن التحولات السريعة في العالم قد أدت إلى إيجاد وعي جديد أثر بشكل أو بآخر في جنس الرواية وفي شكلها؛ لذا أصبح " جنس الرواية يغري الكتاب بالمغامرة بحثا عن أفق حداثي في الكتابة الأدبية، وتعبيرا عن الموقف من الراهن والرؤية معا "[2].

---

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٤٢.

(٢) بوشوشة بن جمعة : رواية (دنيا) لمحمود طرشونة ص١٠٣، (بداية تساؤلات ونهاية منفتحة – كتابات معاصرة – م٧ – عدد ٢٥)

ولذا فالرواية تعد الفن القادر على " استيعاب الأسئلة والقضايا والتحولات الملازمة لرحلة الإنسان "[1]؛ ذلك الإنسان المعاصر الذي جسد حالة خاصة، في كثرة همومه وتعدد رغباته واضطراب حاجاته المادية، وتمرده على سلبيات مجتمعه، وإحساسه بالضآلة أمام آلية العصر وتقنياته؛ لذا جاءت الأعمال الروائية تعبيرا عن الأزمة النفسية العميقة في الذات المبدعة؛ إذ يحتاج التعبير عنها " إلى أدوات جديدة أو أساليب مبتكرة ولغة جديدة ....ليكشف عن اكتناه جوهر الواقع والإلمام بالتحولات السيكولوجية المحزنة التي يعيشها الإنسان "[2].

والكاتبة قد استطاعت أن تصل إلى المتلقي من خلال التقنيات التي اعتمدت عليها في روايتها وهذا ما يدل على علاقة الشكل بالمضمون؛ لأنه مهما تكن المضامين والأفكار التي يحملها النص الأدبي، فإنها تبقى ضئيلة الفائدة أو غير مؤثرة في أحسن الأحوال، ما لم يتم تجسيدها بأسلوب فني معبر وجذاب، يستطيع الأديب من خلاله الوصول إلى إنجاز نص يكون فيه المضمون مع الشكل وحدة عضوية متماسكة، ففي العمل الأدبي السليم " تخضع كل جزئية للإسهام في صياغة الكل الفني المتكامل المتوحد، وأي خلل فيه كخلوه من أحد العناصر، أو إثقاله بعناصر لا ضرورة لها، أو قيام التناقض بين عناصر التكوين يمكن أن يؤدي إلى اختلال العمل أو ضعفه أو تدميره "[3]

---

(١) محمد برادة : الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين ص١٢، (دار بن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١).

(٢) عوني صبحي الفاعوري، مؤنس الرزاز : الرجل الذي لم يرحل – أحياء في البحر الميت نموذجا – ص١٠٥ (المجلة الثقافية، عدد ٥٦، عمان، ٢٠٠٢)

(٣) عماد حاتم : النقد العربي قضاياه واتجاهاته الحديثة ص٥٣، (دار الشرق العربي – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٩٩٤)

وأتمنى أن تحقق دراستي ما ظللت تهدف إليه من الكشف عن الجوانب والمقومات الفنية لتلك الرواية، وكيفية نقدها نقدا موضوعيا يساعد في إبراز ما تنطوي عليه من آليات وتقنيات.

١- العنوان

هو أول ما يقع عليه نظر المتلقي عند إقباله على شراء أي رواية، لذا فالعنوان قد يكون سببا في الإحجام أو الإقدام، والعنوان يكثف النص ويدل عليه " العناوين عبارة عن علامات (سيموطيقية) تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية إذا كان العنوان يحيل عن نص خارجي يتناسل معه ويتلامح شكلا وفكرا "[١].

وعنوان هذه الرواية (أمي ....إليك السلام) ولكن المتلقي لا يدرك معنى السلام هنا، وما سببه، ولن يستطيع معرفة ذلك كله إلا بعد الانتهاء من قراءة الرواية كلها، وقد لاحظت من خلال الاطلاع على كثير من الروايات أن العنوان – غالبا – لا يأتي مباشرا وصريحا، بل يحتاج إلى ما يوضحه، وهذا يعد نجاحا للكاتب؛ لأنه يجعل المتلقي معه منذ البداية، فيجعله يتساءل : ما السبب؟ وما الذي حدث؟ وما المقصود من العنوان ؟ ولن يستطيع القاريء الوصول إلى الإجابة إلا من خلال مطالعة النص السردي كله.

إن النص السردي للرواية يتحدث عن معاناة الملكة كاثرين وابنها جيلفورد من التقاليد السيئة التي أصبحت من كيان الملك رودلف، وقد تشبث بها وظن أنها الطريق الأمثل للسلطة، فباعد بين كاثرين وابنها، واستخدم الجفاء في تعامله معهما، وكانت

(١) محمد الهادي المطوي : شعرية عنوان كتاب الساق ص٤٥٨ (عالم الفكر، م٢٨، ع١، ١٩٩٩).

الملكة تستشرف في جليفورد الأمانة والهدية المبعوثة لخروج هذا الشعب من الظلام ونحن في هذا العنوان نتساءل : ما المقصود بالسلام، هل هو الأمان ؟ الذي كان يرغب فيه هو والملكة، أمان في اسقرار السلام عند الشعب، أو هو تحية الاسلام، أو هو اللحن المتعارف بين الملكة وابنها، أو العدل الذي كان يتمناه، كل ذلك أطروحات يفرضها العنوان، لا تعرف الإجابة إلا بمطالعة النص السردي.

فالملكة كانت تطمح في العدل والأمان والسلام، كذلك الأمير جيلفورد في ظل واقع مؤلم اتسم بالظلم والجفاء؛ لكن صبر الأمير في تحقيق أنشودة والدته، كان السبب في الوصول إلى ذلك السلام، الذي كانت ترغب فيه إذ نجح الأمير في إرسائه لمدينة المتمردين، لذا فإنه يعطي لروحها ذلك السلام الذي استشرفت به له، ومن هنا كان أمرا طبعيا أن تتكرر تلك الجملة في ثنايا الرواية، فمثلا نجد الحوار الذي حدث بين المعلم والأمير وزوجته التي " أعدت حفلا صغيرا للعزف والرقص والغناء، وفي فقرة خاصة دعت الأمير للعزف معها، فقد مضت شهور ولم يمس الأمير اله موسيقية رغم أن العزف متعته الوحيدة ولا يدري لماذا اختار من بين كل الألحان التي عرفها لحن أمي إليك السلام ومنك السلام ....."[1].

وعندما تحقق حلمه في السلام، وجدنا الأمير وفي عينيه النوم " عبرة حزينة فاض بها أمام قبر صاحبة ذلك الحلم الجميل، فقال وهو يشعر اندفاعه ليتك كنت معي أماه ....كم احتاج إليك في رحلتي الطويلة الشاقة .....كم يفتقدك قلبي الوحيد المعذب،

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ١٠٥.

وكم تشتاق إليك نفسي المهاجرة إليك ..... ثم قال في حب عميق وحنان دافيء أمي إليك السلام ....ومنك السلام "[١].

وفي نهاية الرواية يقول الراوي : " وصمت الأمير قليلا محاولا أن يرتوي من نور طيفها وترقرقت الدموع في عينيه وتمتم في انفعال أرجو ألا تحرمني مولاتي من رعايتها وحبها ونور طيفها، وقبل أن تبتعد ويغادر القمر سماء الليل الذي يوشك على الرحيل، وهتف الأمير في حب، وزوجه إلى جواره وفي صدره بداية لعهد جديد أمي .....إليك السلام "[٢].

ولا شك أن التكرار يعد " ظاهرة لغوية من حيث اعتماده في صوره البسيطة المركبة – على العلاقات التركيبية بين الكلمات والجمل ....وهو يعد وسيلة بلاغية ذات قيم أسلوبية مختلفة "[٣].

ولدور العنوان الفعال في جذب المتلقي، نجد أن الروائيين قد اهتموا به وأخذ منهم جهدا وتفكيرا "ما أهم العنوان عندي كلما انتهيت من كتابة ما أريد، .....العنوان قد يأتي بتلقائية تدهشني في أثناء انشغالي بما أكتب أو أجمع من كتابات، وكأنه يعرف أنني بانتظاره، وإذا لم يأتيني شغلني البحث عنه وذلك بإعادة النظر مرة بعد مرة فيما كتبت أو جمعت بين دفتي مجلد واحد "[٤].

---

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ١١٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١١٨.

(٣) مجلة فصول، المجلد السابع، عدد ١ – ٢، اكتوبر ١٩٨٦ صـ١٠١.

(٤) ماجد السمارائي : حياتي مع الكلمة (الجديد في عالم الكتب والمكتبات – عدد ٢- ١٩٩٤) ص١٦.

٣- البداية :-

تعد من أهم المكونات البنائية في النص الروائي، حيث يستقري المتلقي من خلاله مفردات البنية كالزمن والشخصية ...إلخ، ومن هنا فتحتاج البداية من الكاتب صياغة جيدة في اللغة والبلاغة، فالبداية " من أعقد وأصعب المكونات المتعلقة بالنص الإبداعي حيث من خلال إحكامه وضبط صياغته كرؤيا لمحتوى العمل بكامله، يجد المتبقي من الأحداث طريق إلى ذهنية القاريء المتعامل مع النص ....."[١].

وهذا التداخل بين البداية ومتن الرواية يعني أن البداية " ليست عنصرا منفصلا عن بنية العمل الفني كله .....وإنما السدى البنائي والتاريخي المتولد من العمل الفني كله الخاضع لمنطلق العمل الكلي، وفي الوقت نفسه فهي عنصر لها خصوصيتها التعبيرية باعتبار بدء الكلام ....."[٢].

أما روايتنا فتبدأ بعودة الروح إلى الملكة بعد معرفتها بخبر رجوع ابنها من مدرسة الأمراء، وتصور لنا حالة جميلة مملوءة بالحب والحنان، ونجحت الكاتبة في استخدام الصور البلاغية التي أضفت على الرواية رونقا وجمالا، ثم تظهر البداية خوف الملكة أن يقوم الملك بإرسال الأمير إلى أي مكان اخر ليبعده عنها مرة ثانية؛ لذا فهي تدعوه دائما إلى سماع أوامر الملك، والبداية هنا تؤطر للأحداث التي تشتمل عليها الرواية، ثم يظهرها من خلال تيار الوعي، فيسترجع جيلفورد ما شاهده في مدرسة الأمراء؛ لذا

---

(١) صبري حافظ : البدايات ووظيفتها في النص القصصي (الكرمل، العدد ٢١، ١٩٨٦) ص١٤١ .

(٢) ياسين نصير:الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي (الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨) ص٢١.

فالبداية ذات صلة وثيقة بالرواية وموضوعها، وقد جمعت البداية شخوص الرواية كالابن والملك والملكة والطبيب المعالج ....

٤- الطبيعة :-

لاشك أن الطبيعة تعد بمنزلة وحى الكاتب، فمن خلالها تنطلق نفسه وتجود قريحته؛ إذ إنه يبثها آلامه، وينسى عندها أحزانه، وتثير أشكالها شجونه، وتملك عليه فؤاده، وكانت الكاتبة محقة في اتجاهها إلى الطبيعة؛ إذ أفاضت عليها من أسرارها، وأسلمت لها قيادها فاستطاعت أن تبث أحزانها إليها، وأن تحيل عناصر الطبيعة التي تشكلت منها روايتها إلى أحاسيس هائلة تتجاوب مع أحاسيسها؛ لذا فهي شاعرة محبة للطبيعة وملتصقة بها عميق الصلة، حيث إنها المستراح لنفس الكاتبة القلقة، تبث بين يديها شجواها الدائم، تهرب اليها، وتروي نفسها منها ....

ومن النماذج الدالة على ذلك قول الراوي : " غرقت عين الأمير في الدموع وقال كانت كل شيء في حياتي، إن لم تكن هي أول ما رأت عيني عندما تضمني إليها أسمع نبض قلبها كعزف سمفونية خالدة الألحان بين أحضان الطبيعة وعزف نبضها وآلاتها، كانت مهد حياتي، كنت أسعد طفل في الوجود، كان في وجهها نور سماوي طاهر، وفي صوتها أناشيد الطيور ..."(١).

فالنص السابق يلجأ جيلفورد إلى الطبيعة لتشاركه أحزانه في تلك الملكة التي تنبأت له بأنه عنوان الرحمة وهى كذلك تعد عنوان الرحمة ومأوى الحنان، ثم يقول إنه لن يستطيع أحد أن يبعد بينهما " ولكنها معي تقطن فؤادي، ولن ينتزعها مخلوق منه مهما

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٤٣.

كـان، ورغـم اسـتحالة اللقـاء فأنـا ألقاهـا في وجـه القمـر وأوراق الـشجر وأجنحـة الطيور ..."[١].

إن الكاتبة تصف لنا وقع وفاة الملكة المؤلم على صدر ابنها جيلفورد لكنـه يـذهب إلى الطبيعة لتشاركه أحزانه، ويرتمي في حضنها؛ لعل الألم الذي انتابه يزول، وهنا يقـول الراوي : " اسـتقبلته الطبيعـة الـساحرة بابتـسامة دائمـة واحتـضنته الحقـول والمراعـي وأناشيد الطيور والفلاحين، فتصاعدت أنفاسه الحارة وخطـت العـبرات سـطور الآلام على وجنتيه، ورفع بصره للسماء قائلا لقد صدقتى يا أماه فشعر بروحها تعانقـه فـتروي حنينه ....."[٢].

ونخلص من ذلك أن الفن يعد تعبيرا عن الطبيعة وما فيها من أشياء ولا يفـضل للأديب أن يكون تصويره لها آليا، لأن الأديـب إذا لم يكـن مـستطيعا التعبـير عـن هـذه الطبيعة، فإنه لا يستحق أن يكون أديبا، ولا يعد إنتاجه الأدبي فنا، وقد قـال العقـاد : إن ما في الكون من كائنات حية وجمـاد لتغنـي عـن هـذا الأديـب الـذي لم يـستطع التـأثر بالطبيعة؛ إذ إننا نستطيع تصورها أفضل منه، فهي أمامنا، لذا لا نحتاج إلى تقديمها إلينا منقولة نقلا صريحا ومصورة تصويرا، فهذه طريقة غـير مستـساغة، ولا تمـت إلى الأدب بصلة؛ لأنها لا تحقق مهمة الأدب في إبراز هذه الطبيعة وما في الحياة من جمال ورفعة[٣].

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٤٤.

(٢) المصدر السابق صـ ٩٢.

(٣) انظر يوميات الأستاذ / عباس العقاد صـ٣٣٨ (الجزء الثاني، دار المعارف، مصر، دون تاريخ)

السؤال :-

لقد كثرت أساليب الاستفهام في الرواية؛ إذ أصبح أسلوب الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية التي أولعت الكاتبة بكثرة استعمالها، وذلك لما يشتمل عليه من طاقة ثرية وفياضة، فهو " ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس، ويبث أخفي الخواطر والهواجس؛ باعثا في نفس المتلقي شتى الإيحاءات المتوهجة المتداخلة، فتحس نبض القلوب في نبض الكلمات وحرارة الانفعالات في التعبيرات التي تنتفض حرارة وحياة، وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المجرد، بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان بالدرجة الأولى "(١).

وقد كثرت الأسئلة في في هذه الرواية، ومن ذلك قول جيلفورد لوالده عندما طلب منه قتل العبد، معتقدا أنه يملك روحه وكل شيء فيه، فيرد عليه جيلفورد بقوله : " أصنعت روحه مولاي حتى تملكها، أو صنعت جسده حتى تملكه؟ ....."(٢).

وفي هذا الاستفهام تهكم وسخرية من الابن لأبيه، ونجد أيضا ذلك الاستفهام في قول الأميرة لجيلفورد، عندما وجدته حزينا والدموع تنهمر منه، فقالت له : " ما خطبك سيدي؟ "(٣).

وهذا يعبر عن الخوف والقلق الذي انتابه بسبب رؤيتها على هذه الحالة الحزينة، ووجدنا أن الإجابة كانت معبرة بالفعل عن سبب هذا الحزن؛ إذ قال إن الأوضاع أسوأ مما أتصور، فالجوع والمرض والظلم والقهر والشقاء قد استشرى كل ذلك في البلده.

---

(١) د. صباح عبيد دراز : الأساليب الإنشائية في القران الكريم صـ١٠٧ .

(٢) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ٦٧.

(٣) المصدر السابق صـ ٨١.

ومن النماذج الدالة على ذلك أيضا، سؤال الفتاة – التي أمر الكهنة بسجن والدها، الذي قتل حارسا من حراس الملك لابن عمها الذي كان يريد قتل الأمير جيلفورد : " أما زلت تريد أن تقتله، "[1].

وهو استفهام يدل على الإنكار حيث تستنكر الفتاة أن يقدم ابن عمها على قتل الأمير الذي وقف بجانب البلدة كلها، كما وقف بجانب والدها، وأيضا لأنه قد دافع عنها.

ومن تلك الأسئلة قول جيلفورد : " ومن سيجني عقول تعلم وتتقن ما تعمل ؟، إنه مولاي العظيم نعم أمرت بتعلم الطب وعلاج النفس والمرضى، فمولاي لن يستفيد من إنسان سقيم عليل ... "[2].

الاستفهام هنا يفيد التقرير؛ لأنه بالفعل لن يستفيد الملك من الشخصية المعطلة جسديا وفكريا وعلميا. ويظهر الاستفهام معبرا بصدق عن وجدان الأمير جيلفورد عندما يخاطبه الملك بأساليب استفهام تدل على التعجب من هذا الأمير الذي رفض كل أنواع العبث والمجون، ويحمل نفسه مسؤلية ضخمة ليست مفروضة عليه، فيقول الملك: " كيف سيكون وجه مستقبل تلك المملكة وقد تحرر أحد أمرائها من أثر العبث والمجون والبهجة ...فلماذا تحمل على عاتقك مسئولية ضخمة ليست مفروضة عليك فقال الأمير في صدق لأني خلقت لها ....وقال الأمير في يأس لماذا يستمتع مولاي بإذلالي ...لماذا لا

(١) هبة الشريف : أمي .....إليك السلام صـ٨٨.

(٢) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ ٧٥، ٧٦.

يعزلني مولاي عن ولاية عهده ويطردني خارج ملكه ؟ فقال الملك أهذا ما وصلت إليه قريحتك من عقاب فقط أطردك من ملكي ...ولماذا لا أسجنك فيه؟ ..."[1].

إن النص السابق يوضح لنا دواخل الشخصية وما ينتابها من مشاعر وأحاسيس، وعرفنا ذلك كله من خلال تلك الأسئلة، التي أبرزت الحالة النفسية لدى الشخصية، ومن المتعارف علية أن دراسة النفس من الدراسات الثرية، فالنفس تصنع الأدب وأيضا يصنع الأدب النفس، ولا عجب في ذلك؛ إذ تعد النفس الينبوع الثري لما يزخر به الشعر والنثر من الأفكار والعواطف والأحاسيس؛ لذا فالعلاقة بين الأدب والنفس وطيدة، فالنفس تجمع أطراف الحياة لتصنع منها الأدب، والأدب يتناول حقائق الحياة ليضيء جوانب النفس.

وكاتبتنا من اللائي استلهمن السحر والجمال، ونادين بالحب ورفعن أنظارهن إلى السماء، وصادقن قضايا البشر، ورافقن رحلة الحياة، وهذه هي رسالة الكاتب في الحياة.[2].

٥- التشكيل النفسي للشخصية :-

تبين مما سبق أن العلاقة بين علم النفس والأدب علاقة قوية وثيقة والأديب بما يملكه من بصيرة ورؤية ثاقبة، وقدرة على الغوص في أعماق النفس الإنسانية، يستطيع الوصول إلى داخل النفس ودليل ذلك أن " فرويد" عندما غاص في أعماق النفس

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ ١٠٩، ١١٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١١٤، ١١٥، ١١٩.

الإنسانية، رأى أن الأدباء والشعراء – بأعمالهم الروائية والمسرحية والشعرية – قد سبقوه إلى استلهام الواقع الإنسان ".[١].

وقد جاء تعبير الريوائيين عن التشكيل النفسي من خلال عناصر عده فاعتمد البعض على المنولوج الداخلي، الذي يعرفه " عبد الملك مرتاض " بأنه " خطاب مضمن داخل خطاب اخر يتسم حتما بالسردية : الأول جواني والثاني براني، ولكنهما يندمجان معا اندماجا تاما (.....) لإضافة بعد حدثي أو سردي أو نفسي إلى الخطاب الروائي "[٢].

ومن النماذج الدالة على إبراز الحالة النفسية، ما نجده في حوار جيلفورد الداخلي الذي يناجي نفسه من خلاله بعد وفاة والدته فالحزن قد خيم عليه، والألم قد تملك منه : فيقول : " وفي المقابر اجتمع حشد كبير من الملوك ....يلقون نظرة الوداع على الجسمان الطاهر قبل أن يواريه التراب، إحساس رهيب اقتلع جذوري والدموع تحاصر دروبي، والاه خنجر حاد مسموم مزروع في فؤادى إنها ستغيب إلى الأبد ....إلى الأبد ...لا أصدق أكاد أشعر بقلبها ينبض بضعف ...وأكاد أشعر بأن عينها تحتوينى ....الصرخات تشق صدري الضائق ...كم رغبت أن أصرخ .."[٣].

وفي حوار آخر لجيلفورد نجد الخوف والقلق يسيطر على فؤاده، فهو يناجى نفسه بقوله : هل أستطيع تحقيق حلم أمي ؟، إن المدينة بها مخاوف كثيرة " غادر الأمير السجن العتيق وأفكاره تحيط به تكاد تنزع روحه وسؤال حائر يطارده في كل خطوة يخطوها نحو

(١) انظر : سامي الدروبي : علم النفس والأدب صـ٢٣١ (دار المعارف ط٢، القاهره، ١٩٨٦)

(٢) محمد الأدهم : تحليل الخطاب السردي صـ٢١١ (دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٦) .

(٣) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٦٨.

القصر، ماذا يجب أن يفعل ليرفع الظلم والقهر عن عاتق الرعاع ويمتص غضبهم وثورتهم ...ورفع بصره إلى السماء التي بدأت غيومها تتبدد وتساءل هل أنا قادر على تحقيق حلمها النبيل ..."[1].

ويظل جيلفورد مستمرا في عمله دون كلل أو ملل حتى يصل إلى غايته وما كانت تحلم به والدته، ومثال ذلك قوله : " أماه سأحقق لك عهدي وأمضي في دربي وسأخلص دون ملل ... وسأسعى دون كلل حتى تشرق شمس عدالتك في سماء المملكة ...."[2].

ويظل الحوار الداخلي لجيلفورد كاشفا عن حالته النفسية، ومن ذلك الحوار الذي كشف لنا عن انتمائه من عدمه للمدرسة التي أتى إليها وهو في سن مبكر، تلك المدرسة التي أرسله إليها والده فيقول : " لم يتغير فيه شيء، ربما أكون أنا من تغير، الغريب أنني في هذه اللحظة لا أحمل أي مشاعر نحو هذا المكان، لا أكرهها كما كنت، عندما جئت إليه أول مرة طفلا صغيرا وحيدا بائسا، ولا أستطيع أن أقول أحبه لأني لي فيه ذكريات مرة ..."[3].

والدراسة ترى أن النفس الإنسانية تعد المجال المفضل الذي تطوف في ثناياه بصائر الفنان، وتقوم عليه المأساة والملحمة والشعر والقصة وسائر الفنون؛ لذا يلجأ الأديب عامة والروائي خاصة إلى استخدام تلك التقنية[4].

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٨٩.

(٢) المصدر السابق صـ ١١٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٩٢.

(٤) لمزيد من التفصيل : السابق نفسه صـ٧٩ – ١١٠ – ٦٠- ٧٢.

٦- السخرية :-

تعد هذه التقنية من أهم الظواهر البارزة في هـذه الروايـة، فهـي تتخلـل الروايـة كلها، بحيث نستطيع أن نراها في أماكن كثيرة في تلك الروايـة ومـن المتعـارف عليـه أن الشعب المصري قد عاصر التناقض منذ فجـر حياتـه وهـذا مـا جعلـه يمجـد الأبطـال ويسخر من الأوضاع التي استشرت في هذا المجتمع.

ويظهر ذلك في سخرية الملك من الملكة بسبب تعاملها وحبها المبالغ فيـه لابنهـا، فيقول الملك : " سيرحل من يشاركني فؤادك ويقاسمني حياتك، سيرحل وستكونين لي وحدي، فقالت أتغار من ولدك؟، فضحك ساخرا ثم قال بل احميه مـن فـساد تـدليلك فهو ما زال صغيرا لا يستطيع لن يقاوم سحرك .."(١).

ومن ذلك سخرية جيلفورد من أبيه الذي يريد أن يجعله عابثا لاهيا، لـذا يـصف لنا احتفالات الملك العاهرة ثم يقول : " وأصبحت بدون رغبة ضـيفا دائـما في سـهرات الملك الخاصة وحفلاته الماجنة..كان الفجور والفساد يحيط بكل شيء ويحتويه، لن أنسى ما حييت من سخرية الملك المهينة مني وضـحكاته العـاهرة، سـخر الملـك مـن تعففـي وترفعي عن الانحطاط ..."(٢).

وكذلك يسخر الملك من الأمير بسبب التغييرات التي فعلها في مدينـة المتمـردين نحو رفع السياق عن السجناء ومنح الرعـاع المـال إلى آخـره، فيقـول الملـك : " – مـاذا فعلت في المدينة أيها الأمير ؟

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٤٩.

(٢) المصدر السابق صـ ٦٩.

فقال الأمير في صدق فعلت ما يجب أن أفعله حاكم يريد الإصلاح مولاي ...فقال الملك رفعت السياط عن السجناء ومنحت الرعاع المال أهذا إصلاح؟! ...فقال الأمير في محبة زرعت الأرض ورويت الزرع وحصدت الخير ..فقاطعه الملك ساخرا وأعطيته للفقراء فقال الأمير لأنهم أصحابه يا مولاي، فسأله الملك في استياء أليس لنا حق في ذلك ؟ فقال الأمير في هدوء لقد أعطيتهم أجورهم وحقهم فأعطوا لمولاي كل حقوقه ...."[1].

٧- الرسائل :-

فقد اعتمدت عليها الكاتبة؛ لأنها تستطيع – من خلالها – معالجة المشكلة، وتوضيح الشخصيات وصورتها، ورسم الحدث الذي يشمل بداخله كل العناصر الروائية بأسلوب قصير، وكذلك نجد لجوء كثير من الروائيين إلى تلك الظاهرة، فاستعملوا الرسائل المتبادلة بين الشخصيات؛ عوضا عن استخدامه لضمير المتكلم في السرد، مما أتاح لهم حرية الحركة، وجعل أحداث رواياتهم تتمتع بالحيوية ومن هذه الرسائل، نجد رسالة الملك إلى جيلفورد – ابنه عندما أرسله إلى مدرسة الأمراء، فقد وجد الملك أن بعد جيلفورد عن أمه لم يكن كافيا لأن ينساها، إذا ظل جيلفورد يرسل إليها الرسائل، هنا كان رد الملك " بالغ القسوة، وقد أيقن أنها ما زالت تسكن في أعماق، فضاعف التدريبات وضاعف المجهود الذي أبذله، وأمر باستمرار قص شعري لأنه يشبه شعرها وكان فحوى رسالته الحازمة " أريدك أميرا قويا، ولكي تكون قويا يجب أن تكون بلا قلب "[2].

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ١٠٧وينظر صـ٩٢ – ١٠٩-٤٨.

(٢) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـــ٥٤ .

وكانت الرسالة عند الكاتبة نمطا من أنماط السرد لديها، وأبرزت المشاعر الوجدانية للشخصيات، ومن ذلك نجد إرسال الملكة قريبا لها إلى مدرسة الأمراء ومعه رسالة إلى ابنها، وعندما وصل ذلك الرجل إلى المدرسة وأخبر جيلفورد أنه يمتلك رسالة خاصة به من الملكة خاف جيلفورد وانتابه القلق، لذا طمأنه الرجل بقوله : إن الملكة كانت تعلم أنه سينتابك الشك والريبة لذا طلبت مني أن أقول لك أن شجرة الإحسان ما زالت تثمر، وسبب إرسال الملكة الرسالة نسيان ولدها لها الذي لم يرسل إليها أي رسالة – ولم تكن تعلم أن ابنها يرسل والملك يستلم الرسائل ويقطعها – فتح جيلفورد الرسالة التي كان فحواها " ولدى الحبيب ..البعيد القريب جيلفورد ..سامحك الله يا ولدي وغفر لك قسوتك وهجرك، فقد كتبت إليك الكثير والكثير حتى سئمت السطور وتراخت الأقلام، هل صرت بلا قلب أو ذاكرة تتسع لي كما يقول الملك العظيم؟، هل استطاع البعد أن ينتزعني من أعماقك ؟ ....."[1].

وقد كتب جيلفورد رسالة لأمة يقول فيها : " آه لو تعرفين كم أشتاق إليك، ولو تعلمين أنني أتحمل الكثير من أجلك، إنك سر قوتي وتحملي، فلا تخافي أماه، إن النبت الأخضر الصغير الذي زرعته يداك الطاهرتين في البيداء سيجد الماء الذي يرويه ليصبح قويا كما تحلمين ....."[2].

وعندما عاد الملك من مدرسة الأمراء ولم يكن معه جيلفورد انتاب الأم كثير من المخاوف على ولدها فبعثت إليه برسالة تقول فيها : " ولدي الحبيب جيلفورد .....لقد

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٥٨.

(٢) المصدر السابق صـ ٥٩.

تمزق فؤادي عندما عاد الملك بدونك ألما .....لقد قدر علينا العذاب يا ولدي فاستعن بالله وبالصبر عليه ....ولا تنس أنك الأمل الهدية الرجاء الممنوح لشعب، وأم تخلص لك العهد، تنتظرك أن تعود بقلب يموج به الرحمة والعدل. أمك الحبيبة كاثرين "[1].

إن الكاتبة قد نجحت في توظيف الرسالة، فجعلتها ممتلكة لغاية ومؤطرة لكثير من الصراعات، وهذا ما أدى إلى التشويق، ومن الرسائل التي كانت سببا في تنمية الحدث؛ إذ نتج عنها الصراع، تلك الرسالة التي بعث بها الكهنة إلى الملك يخبرونه أن الأمير كون جيشا ويريد محاربته، ويكون رد الملك قاسيا، فيقول : " ويلك أيها الأمير اللعين وهمّ بالنهوض، فقالت الملكة بصوتها الحليم لما لا يهدأ مولاي ويخبرني ما الأمر ؟ فقال حانقا الأمير الذي تدافع عنه مولاتي دائما قد كون جيشا انضم إليه الرعاع من كل صوب، وهو الان يستعد للخروج لمحاربتي ...."[2].

نخلص مما سبق : أن الكاتبة قد اعتمدت على الرسالة في روايتها، لأنها حازت على قبول المتلقي والكاتب على حد سواء، فهي تبعد المتلقي عن الشعور بالملل، كما أن استخدام الرسائل " يعطي الشخصية فرصة الحوار الهادىء والعاقل فيما بينهما، وتبعد عنها الحرج والرهبة ومضاعفات المواجهة، وفي ذلك الوقت تتضمن مسوغات الوصل والتصالح مع الآخر "[3].

---

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ ٦٤.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٦ وينظر صـ ٣٤، ٥٤، ٥٧.

(٣) ملامح الرؤية والفن في رواية (شمس الخريف) لحلمي القاعود صـ٢٠٠ (مجلة كلية الآداب – جامعة طنطا – عدد ٢ – ١٩٩٧) .

٨- الصورة :-

من المتعارف عليه أن الصورة تشتمل على دور مهم في إبراز الواقع لدى المتلقي؛ لذا فهي دائما تأخذ موضع الاعتبار في الحكم على الكاتب وقد اتجهت الكاتبة إلى استخدام صورة شخصياتها بالهموم والآلام والأحزان؛ حتى تفصح عن المشاركة الوجدانية بين المتلقي وأحداث روايتها. وقد تعددت المظاهر التي اعتمدت عليها في ذلك، حيث وجدنا اللون في قول الراوي : " في إحدى حجرات قصر شيد في أجمل بقعة من بقاع الأرض في زمن بعيد عن هذا الزمن الذي تحتويه أيامنا، وقفت امرأة اجتمعت كل آيات الجمال والروعة ترتدي فستانا أبيض فضفاضا تتزين أمام المرآة بعناية ....."[١].

وهذه هي بداية الرواية التي تكشف السعادة التي انتابت الملكة عند علمها بقدوم ابنها من مدرسة الأمراء وذلك على الرغم من مرضها إلا أنها تشعر أن حياتها متعلقة بالاقتراب من جيلفورد – ولدها- وقد استخدمت الكاتبة اللون الأبيض للفستان الذي ترتديه الملكة وهذا يعد رمزا للطهارة والنور والشفافية والصورة هنا فنية جيدة وقد عبرت دلاليا عن الحالة النفسية للملكة التي شعرت بالراحة بعد علمها بقدوم ولدها.

ومن هذه المظاهر أيضا الحركة التي كثرت في الرواية، فمثلا نرى جيلفورد يتحدث إلى الملكة بقوله : " لم أصدق نفسي عندما جاءني استدعاء الملك شعرت أن كل خلايا جسدي تقفز وتتطاير في الهواء، وأخذت أهتف للأشجار وللسماء والنجوم ولكل من أصدقائه إني عائد، كدت أن أجن، فالعودة حلم انتهى زمنه ....وعاد يضمها إليه بحب ولهفة، ثم أخذ يدور بها فهزمت ضحكاتها الدموع ....."[٢].

---

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ٧.

(٢) المصدر السابق صـ ٧.

والحركة في النص السردي السابق كانت من أهم العناصر التي شكلت فضاء الصورة، وجعلت السعادة أكثر عمقا وقربا للمتلقي وذلك من خلال الألفاظ (خلايا جسدي تقفز – أهتف – يضمها – يدور بها .....) وقد نجحت الكاتبة في تقديم الدلالة مستوفاه كل جوانبها إلى المتلقي.

وتبرز الحركة أيضا في الحوار بين الطبيب والملك والملكة، يقول الطبيب :" عفوا مولاي يجب أن أفحصها الآن ....فغادر الملك الجناح مقتنعا أن ما يبنيه هو في سنين تهدمه هي في لحظه.. "(١).

كما نجد الحركة في وصف جيلفورد لقسوة أبيه، فيقول : " أمي لو ارتوت الأزهار بدماء الجروح لصارت شوكا، وإن لامست الأشواك القلوب مزقتها، فقالت له لا يا ولدي الصغير أعلم أنك تحب والدك، فعدني أنك ستتحمل الملك وتصبر على ما يطلبه منك ولا تحرمني أن ارى حلمي قد تحقق فيك .... "(٢).

والنص السردي السابق يشعر المتلقي – من خلاله – بشعرية الصورة من اللغة الفنية الجيدة التي وصفت الموقف بدقة وعناية شديدة وجاءت فنيتها من اعتمادها على اللفظ المعبر عن مفردات الصورة ودلالتها من أقرب طريق وذلك في قوله (ارتوت، صارت، لامست، تتحمل، تصبر، يطلب، تحقق) وهي أفعال ماضية تدل على تيقن الحدث، وأفعال مضارعة توحي باستمرار دلالة الأمل وتجدده الدائم عند الملكة، فهي ترى أنه هدية هذا الشعب.

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ١٠ .

(٢) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ١٦.

ونجد أيضا الحركة الباطنية عند الملكة التي كثيرا تفكر في ابنها ومصيره بعد وفاتها، فتقول :"يا لهذا المسكين من شقاء بعدي، وانسكب الدمع من مقلتيها وهي تقول إنني أم ينفطر فؤادها كلما فكرت في مصير ولدها بعد أن يواريها التراب، لا حب لا حنان ولا قلب يشفق عليه، إنك لا تعرف سيدي مقدار قسوة القلوب هنا .....فلا صوت فيها للحب ولا نداء للرحمة ...."(١).

وقد وظفت الحركة في النص السابق لاستقراء جملة الدلالات المختزنة داخل الصورة وأهمها دلالة الخوف، ومن ثم فالحركة هي " الملجأ إلى التعبير عما بداخل الذات، وعندئذ لابد من أن تصاحب الحركة الملامح الانفعالية الدالة والمعبرة عما يعتمد في ذات الشخص ...."(٢).

ومن هذه المظاهر أيضا الكناية، فنجد عنف الملك إثر فشله في إحداث تغيير للعلاقة الوطيدة بين جيلفورد والملكة، فيقول الراوي : " فضاعف التدريبات وضاعف المجهود الذي أبذله، وأمر باستمرار قص شعري لأنه يشبه شعرها وكان فحوى رسالته الحازمة ...لكي تكون قويا يجب أن تكون بلا قلب .."(٣).

والنص يرمز إلى قسوة الملك في تعامله مع ابنه، ومن المتعارف عليه أن قدرة الكناية في إنتاج تعبير انزياحي لا تماثل قدرة الاستعارة في تكوين هذه الإنتاجية، حيث

(١) هبة الشريف : أمي ...إليك السلام صـ١٩ وينظر ٢٣-٢٤-٣١-٣٩ .

(٢) محمد عيلان : من سيميولوجيا الاتصال، السيمياء، النص الأدبي صـ٢٥٧ (دار الفارس للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٩) .

(٣) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٥٤ .

يرى " أولمان " أن الكناية " لا تملك بالتاكيد أصالة الصورة ولا قوة تعبير الاستعارة، ومع ذلك فهي لا تفتقر إلى القدرة التعبيرية لكي تخلق صورة ...."(١).

ومن ذلك أيضا وصف الراوي للمدينة وما كان يحدث فيها، فيقول :" اكتفي الأمير بما سمع وتابع طريقه وهو يرتشف الآمه وآهاته، وبعد قليل وصل إلى مسامعه صوت غريب، فواصل خطواته في نهم، فاشتد الصوت، واتضح أنه صوت أنات وصرخات ألم، فسأل عن ذلك، فقيل له إنه صوت السجناء يصرخون من التعذيب .....إن الأوضاع أسوأ مما أتصور ....أهناك شيء قادر على ان يبدد هذا الظلام الحالك ؟....."(٢).

والنص السابق يرمز إلى الظلم والقسوة والسيطرة والكناية متمثلة في الصورة كلها، فهي توحي بالضياع والألم والانهيار، ولا يمكن معرفة تلك الدلالات في هذه الصورة السردية أو غيرها من خلال ما تحمله من ألفاظ أو عبارات فقط، وإنما من خلال قراءة السياق النصي كله، فاللغة الروائية " إذا ما درست – فقط – في إطار جزئياتها، وإذا بقي البحث الكنائي منحصرا في هذا الإطار، فلن يقدم أبدا معرفة جوهرية بالنسبة للفن الحكائي، لأن الكناية فيه ليست قائمة فقط في مستوى الجملة أو العبارة بل غالبا ما يكون التركيب الإجمالي للنص مؤسسا على علاقة كنائية ينبغي البحث عن معناه الكلي لا عن معانيها الجزئية ...."(٣).

---

(١) محمد أنقارم :- الصورة الروائية صـ٤١ (فصول، زمن الرواية، مجلد ١٦، ع٤، ١٩٩٣).

(٢) هبة الشريف :- أمي ....إليك السلام صـ٨٠ وينظر ٨٨-١١-١٤-١٦-٢٠-٢٦-٢٨-٣٥-٤٢

(٣) حميد لحمداني : أسلوبية الرواية صـ٥٦ (الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩) .

ومن تلك المظاهر الاستعارة المكنية التي ظهرت في قول الملكة لجيلفورد " الحب أسمى رباط يربط المشاعر يستمر أبد الدهر لا يعترف ببعد أو فراق، ما دامت أفئدة تعاهدت على الوفاء ..."(١).

والاستعارة هنا تكشف عن الواقع النفسي للملكة بعدما حوصرت من الملك الذي أراد التفرقة بين الملكة والابن من خلال إرساله إلى مدرسة الأمراء، وقد قامت الاستعارة على التشخيص الذي يجسد المعنى، ويبث الحياة في الصورة برؤية جديدة، ويجسم الأفكار.

كما تظهر في قول الملكة لابنها :" أنا لا أهاب الموت قدر خوفي من أن أفارقك وتفارقني وتكون بلا سند أو نصير، لا أريد أن يكسرك الحزن أريدك فأرسا قويا .....ماتت الكلمات على شفتي الأمير، وولدت عبرة كبيرة احتوته ....."(٢).

والاستعارة هنا في (يكسرك الحزن – ماتت الكلمات) وقد أدت وظيفة كبيرة في التأليف بين الجمل والدلالات لإنتاج دلالة موحدة تشير إلى المنتج الدلالي العام وتقربه إلى المتلقي ومن ذلك أيضا التشبية، فيقول الراوي : " وفي ليلة ولد في السماء الصافية قمرها الفضي المتألق النظرات فتزينت له النجوم، واشتد بريقها كابتسامة العيون، احتفلت الملكة مع الأمير بعيد ميلادة الخامس عشر"(٣).

(١) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٦١.

(٢) هبة الشريف : أمي ....إليك السلام صـ٦٧ وينظر ٢٢- ٥٢ – ٩٠.

(٣) السابق نفسه صـ٢٥.

وكذلك في وصف السجناء في مدينة المتمردين لجيلفورد بقولهم : " إنه رحمة السماء، إنه النور الذي سيبدد الظلام ...."[١].

والتشبيه هنا قد عمل على توضيح الفكرة، وتوصيلها للمتلقي بسهولة، وتلك من أهم وظائف التشبيه؛ إذ يكون وسيلة " لتوصيل حقيقة أو تقريبها للذهن، أو التعريف بشيء مجهول ....."[٢].

ونخلص من ذلك إلى أن الصورة تبرز الرؤية الإنسانية والفنية، وتؤكد على المنطوق الدلالي لسياق النص السردي، كما تقوم على تفعيل مشاركة المتلقي في استقراء هذا المنطوق من خلال تجميعه لمفردات الوصف الدقيق لكل شخصية في النص، ومن المتعارف عليه أن هذه المشاركة ضرورية للنص وكاتبه معا؛ لأن " البنية الدلالية شيء ينجزه القاريء بعملية فرز من خلال دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص وعباراته بحثا عن النماذج ...."[٣].

٩- الاسترجاع :-

وهو يعني الرجوع بالذاكرة إلي الوراء – القريب أو البعيد –، وهنا يتوقف الراوي عن متابعة الأحداث الواقعة في حاضر السرد؛ ليسترجع ذكريات الأحداث الواقعة قبل أو عقب بداية الراوي. ومن ذلك ما عبرت به الوصيفة التي كانت تحكي

(١) هبة الشريف . أمي إليك السلام صـ٨٣ وينظر ٤٩.

(٢) شفيع الدين السيد : التعبير البياني صـ٥٥ (دار الفكر العربي، ١٩٨٣).

(٣) روبرت شولز : سيمياء النص الشعري من كتاب اللغة والخطاب الأدبي صـ١١١، (المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣) ترجمة : سعيد الغانمي .

لجيلفورد عن ماضيه وماضي الملكة، فيقول الراوي : " فسبحت الوصيفة في انهيار الماضي وهي تقول كنت في العاشرة من عمري عندما ولدت الأميرة كاثرين الجميلة الهادئة .....فقد رحلت الملكة بعد وضعها بثلاثين يوما تاركة الأميرة البائسة اليتيمة في الحياة وحدها، وتولت المرضعات أمرها، ولكن صحة الأميرة كانت ضعيفة ....."(١).

كما نجد هذا الاسترجاع من خلال الطبيب الذي أحب الأميرة، حيث رافق والده عندما ذهب إلى الملك، فيقول الراوي في ذلك: " إلى أول مرة التقي فيها بالأميرة، كان طفلا صغيرا يرافق والده في إحدى زياراته للملك، وكانت هي هناك تجلس أمام المدفأة وحيده حزينة تعزف لحنا يغمره شجن نبيل ....فترك أباه وذهب إليها، وقال في أدب إن ألحانك رائعة بها شيء من روحك ....وهتف الرجل في غضب مكتوم، جيلفورد فوقف الغلام في احترام وأطرق في حياء، في حين قال الملك مرحا ....مرحا، لم أراك سعيدة منذ عهد بعيد، فأسرعت الفتاة نحو أبيها ...وقالت الوصيفة الفضل يعود لهذا الغلام النبيل ....."(٢).

وكذلك نرى الاستذكار من خلال وصف الملك رودلف لزوجة الملكه عندما حدث الحوار بين جيلفورد وأبيه بعدما استقرت الأمور إذ يقول الملك :" لا أدري ...عندما رأيت الملكة لأول مرة كانت في السادسة عشر من عمرها فراشة زاهية الألوان

(١) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ٣٢.

(٢) المصدر السابق صـ ٩٤، ٩٥.

...طفلة فرحة جذابة ....كانت نظرة واحدة إليها كافية لتجعلني أتخذ القرار، أردت أن أحظى بصاحبة تلك الابتسامة الساحرة، تلك الدرة الغالية التي بهرتني ....."[١].

١٠- الاستشراف :-

وهو تقنية زمنية برزت كأسلوب جديد يميز الرواية الحديثة، لكنه أقل تواترا في السرد من الاسترجاع؛ إذ إن الاسترجاع " يغلب في النص على الاستباق في الرواية الواقعية، بينما تزداد أهمية الاستباق في الرواية الجديدة، فلقد أصبح الراوي ينتقل بين أمس وغدا دون تمييز "[٢].

ومن المتعارف علية أن تقنية الاستشراف تظل أقل ظهورا في النص الروائي من الاسترجاع، لأن الرواية تحكي من شيء مضى وانتهى، ويقوم الراوي باستعادته أو سرد ما يحدث في لحظة السرد الحاضر نفسه. وكان ذلك بارز من خلال الملكة التي كانت دائما تستشرف لما سيكون عليه ابنها جيلفورد، فهي دائما كانت تقول إنه سيكون الرحمة المهداة من الإله، ومن ذلك قولها : " إنه سيكون رجلا فاضلا وملكا عادلا "[٣] وتقول أيضا مدافعة عنه :" إنه ليس ضعيفا مولاي، وغدا سيرى مولاي ..."[٤] كما تقول له : " غدا ستضيء أرجاء المملكة بالعدل والعلم، إني أرى ذلك اليوم قريبا إنه الأمل الهدية

(١) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ١١٤ وينظر ٩٦/ ٨٠٤ -٣٥/ ٣١

(٢) سيزا قاسم : بناء الرواية. دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ صـ٣٩ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤).

(٣) هبة الشريف صـ١٨.

(٤) المصدر السابق صـ ١٣.

للشعب المقهور، ونظرت إليه غدا سترى ماذا سيصنع ذلك الغلام الصغير بما يملكه من قوة لا يعرف منبعها ولكنه سيستخدمها لحظتها، ستعرفون بأن الحب كالنور الذي يبدد الظلام ويمحو اليأس ..."[١]، وتقول كذلك للملك : " سيأتي اليوم الذي يثور فيه الشعب على الظلم والقهر والجهل، ويصبح ملكه طعام لنار الغضب ...."[٢].

وبالفعل وجدنا تحقق تلك الاستشرافات جميعها في نهاية الرواية إذ كان جيلفورد هو الرحمة المهداة، وتعرفنا إلى ذلك في دراستنا المضمونية – سابقا – للرواية؛ إذ أمر بالعدل ورد الظلم وأعطى كل إنسان حقه، وقاوم الكهنة.

١١- الحذف :-

وهو تقنية يلجأ إليها الروائي لصعوبة سرد الأيام والحوادث بشكل متسلسل دقيق؛ لأنه لابد من القفز واختيار ما يستحق أن يروى؛ لذا فهذه التقنية تساعد على فهم التحولات والقفزات الزمنية التي تطرأ على سير الأحداث الحكائية "

ولكن ليس كل الروائيين مستعداً لترك مثل هذه الثغرات الواضحة في سير القصة. وبدلا من القفز فوق الفجوة بين فعل وآخر، فإنهم يفضلون أن يحققوا قدرا أكبر من سلاسة الاستمرار في القصة بحصر الزمن القصصي ضمن حدود ضيقة، فيقدمون المادة اللازمة لفهم القضية الرئيسية في القصة عن طريق إقحام لقطات من الماضي ..."[٣].

---

(١) هبة الشريف صـ٣٧.

(٢) المصدر السابق صـ ٤٠.

(٣) مندلاو: الزمن والرواية صـ٨٨ (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧) ترجمة بكر عباس .

ويكون ذلك في وصف الراوي لما استقرت إليه حال جيلفورد بعد إقصائه إلى مدرسة الأمراء، فيقول : " وتمر الأيام ويتحول الأمير إلى تمثال متجمد الملامح والمشاعر ..."(١)، كما يتضح في قول الراوي : " ومرت أيام على ذلك الحفل والملك غاضب على ولده لا ينتهي، يفكر دائما في أمره، وكيف يصنع منه رجلا يعتمد عليه ..."(٢).

ويظهر ذلك الحذف أيضا في قول الراوي : " ومر اليومان، واستدعا الملك الأمير، وسأله عن اختياره فلم يرد، مل الملك من صمته، فقال وصبره قد نفذ، لقد اتفقنا أنا وجلالة الملكة على فتاة تناسبك ....."(٣).

ومن استخدام الروائية لهذه التقنية، قول الراوي : " ورحلت أيام كثيرة قبل أن يستطيع الأمير أن يتجه إليها وهي شاردة في الحديقة تمسك بكتاب، فالتقطه منها ....فيم كانت سيدتي تفكر ؟ فقالت لا شيء سيدي، فقال لها في ود لقد أتيت لأحقق وعدي ...فهل ترغب سيدتي في بعض التجول ....آسف لأني لم أحقق وعدي مبكرا فوقتي ليس ملكي ..."(٤).

إن النصوص السردية السابقة قد حذف من خلالها الأحداث التي حدثت في الأيام التي لم يعتن الراوي – أو الكاتبة – بها؛ لعدم أهميتها فهي لا تضيف جديدا لبنية النص السردي، وفي النص السابق نجد استخدام الأمير اعتذاره إلى زوجه؛ لأنه لم

(١) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ٢٨.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٧.

(٣) المصدر السابق صـ ١٠٣.

(٤) المصدر السابق صـ ٢٩.

يستطع أن يفي بوعده لها، فإن الوقت ليس ملكه، وهموم المدينة كثيرة والأعباء فوق طاقته.

١٢- ظواهر أخرى :-

ولقد اعتمدت الكاتبة في روايتها القيمة على إبراز ظواهر أخرى كانت مساعدة في ظهور رؤيتها تجاه ذلك الواقع منها الحتمية القدرية التي يصير إليها النموذج البشري في تلك الرواية، فمثلا يقول الراوي، معبرا عن مصيره المحتوم – جيلفورد –:" رباه لقد حكم القدر عليها وعليه وعلى المحبوبة بالتعاسة والعذاب ...إنها معي تقطن فؤادي، ولن ينتزعها مخلوق منه مهما كان، ورغم استحالة اللقاء فأنا ألقاها في وجه القمر وأوراق الشجر وأجنحة الطيور ...."[١]، الراوي هنا يبرز لنا القدر في دورة في إقصاء جيلفورد إلى مدرسة الأمراء وبعده عن كيانة وفؤاده المتمثل في والدته.

كما نجد حتمية القدر في عدم زواج الطبيب جيلفورد من الأميرة إذ إنه قد تأخر قليلا في ذلك، فتزوجت من الملك رودلف فيقول الراوي :" ولكن الحظ أبطئ الخطى نحوه، لقد تأخر الشاب أياما معدودة عن موعد القدر، فأصاب الحزن قلبه، لم أكن أتصور أن للحزن مدى أكبر من الدموع والصراخ ...."[٢].

وكذلك نجد في حديث جيلفورد الابن إلى جيلفورد حبيب الملكة، عندما ذهب إليه ليساعده في هموم مدينة المتمردين، مستخدما كل الوسائل لإقناعه في الموافقة، فيقول

(١) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ ١٠٣.

(٢) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ٣٥.

له :" وما جئت إليك غاضبا مما عرفت، إنما جئت لمن شاركني في قلب أمي ...جئت لمن كان ممكن أن يكون أبي ...لكن القدر رمى بسهمه فأصاب ..."[١].

ومن هذه الظواهر البتر السردي، وهو يعني القطع والاستئناف، ويكون ذلك عندما يقطع الراوي سرده، ليعبر عن أشياء أخرى كالوصف أو تعدد المروي وما على شاكلته وظهر ذلك في مواطن الاسترجاع التي ذكرتها ولمزيد من التفضيل يراجع[٢].

وكذلك نجد تقنية الحلم التي تلجأ إليها الكاتبة لإبراز الجانب النفسي عند الشخصية[٣].

تبين مما سبق : أن الكاتبة قد استطاعت أن تتقن اختيار الألفاظ، وقد تهيأ لها مقومات الشعر من القدرة على تركيب المفردات والصور وتزاحمها وتداخلها وانسجامها، وتأثيرها في بلورة ذلك الانفعال، كما أنها قد استطاعت أن توظف تلك التقنيات، لتبرز الرسالة التي أرادتها تلك الرسالة التي تقوم على المثل العليا من الأخلاق والسلوك القويم، فهي ترى أنه لا سبيل إلى سعادة المجتمع الإنساني بدونها.

ولتنوع تلك التقنيات نستطيع القول بأن الكاتب الروائي – الحق – تجتمع فيه خصائص الأديب العاطفي والكاتب الاجتماعي والباحث النفسي، كما أن الروائي الناجح هو الذي يحيا حياة شخصياته جميعا ويكون ذلك عن طريق الصدق في رسم تلك الشخصيات، وهذا الصدق يستلزم من الكتب التعبير عن حقيقة الشخصيات من خلال سبر أغوارها، واكتناه أسرارها.

---

(١) هبة الشريف : أمي ..إليك السلام صـ٩٤.

(٢) انظر المصدر السابق صـ ١٦، ٣٧، ٣٨، ٦٦، ١٠٣.

(٣)انظر المصدر السابق صـ ٢٦، ٢٨، ٧٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بفضله فأتممت هذه الدراسة، التي حاولت من خلالها أن أتلمس تجليات بنية النص السردي في الرواية، ومدى ترابط البناء الفني بالمضمون، وقد ظهر – لدينا – من خلال دراستنا أن الرواية تعد صوت الحياة؛ فهي تعبر عما فيها من قضايا – اجتماعية أو سياسية – وتطورات، كما أنها أضحت ذات حيوية بعد أن كان ينظر إليها بأنها تزجية للفراغ – فمن خلالها نعلم ما يختلج في صدور الإنسان.

والرواية لا تحدد – فقط – بمضمونها، ولكن من خلال الشكل الذي يقدم بها الروائي ذلك المضمون، وهذا الشكل هو الفن السردي الذي يعد بمنزلة " إنجاز لغوي في شريط تخيلي يعالج أحداثا خيالية في زمان معين، وخير محدود، تنهض بتخيله شخصيات يصمم هندستها مؤلف أو راو "[1].

وبعد...هذه الرحلة في عالم الرواية، وتحليل النصوص والغوص في نفسيات الشخوص، فقد وجدنا ما يأتي :-

١ – أن الرواية قد كشفت النقاب عن أبرز الظواهر السلبية بين بعض فئات المجتمع، ومنها : الرشوة، النفاق، اللامبالاة، الانحراف، التخلف، الجهل ...وقد اعتبرت الرواية – المؤلف – تلك الظواهر آفة اجتماعية خطيرة، إذا استمرت دون حصار لها أو مقاومة.

---

(١) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية صـ٢٥٦ (المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٠) .

٢- أن الروايتين قد ربطتا بين التشوهات السياسية، والتشوهات الاجتماعية، إذ لا يمكن أن يكون هناك نظام سياسي مشوه، مع وجود إنسان لديه الوعي السياسي والاجتماعي، مما يعني شدة الترابط بينهما، وظهر ذلك بطريقة غير مباشرة – رمز – عندما جسدت الرواية غايتها فكشفت عن أنه لا يمكن خلق نظام سياسي حضاري يحترم حقوق الإنسان وحريته في ظل نظم اجتماعية متخلفة وظروف اقتصادية قاسية، واستمرار الحكم التسلطي.

٣- كل جديد – في الحياة أو الفن – لا يولد دون معاناة أو ألم، لذا فالكاتب يجهد كثيرا عندما يظهر ما يجيش في صدره في أسلوب يعتمد على الظواهر الإبداعية التي تجذب المتلقي – وخاصة – ذلك المثقف الذي يعد إنسانا يبشر بمعارفه ومواقفه الحضارية بسمات عالم جديد ومجتمع جديد؛ لذا فإن الروائي يحاول جذب ذلك المتلقي إليه.

٤- يخضع الروائي في عمله الفني لأمرين : - الأول : العالم الخارجي وما يتبعه من صور وأصداء ورموز. والآخر : عالم الروائي الداخلي بجزئيه – التكويني والنفسي- ، ومن المتعارف عليه أن هذين العاملين لابد أن يلتقيا؛ ليصنع الروائي من خلالهما عالما ذاتيا تكتسب فيه إنسانيته طابعا مثاليا، يكون بمنزلة التصعيد لألم الروائي المحسوس.

٥- أضحت الرواية المعاصرة تعتمد على مرجعية، هي الثقافة، فمن خلالها يستطيع الروائي أن يجسد تلك القيم – التاريخية، العصرية – التي تمثل قيمة الإنسان وآية إبداعه.

٦- ظهور اللغة الشاعرية المليئة بالدلالات والإيحاءات والصور الفنية واللوحات التصويرية المعبرة، واللغة الانفعالية التي أضفت على النثر نشاطا جماليا لم يكن من خصائص اللغة التقليدية.

٧- الكاتب قد نجح في الربط بين لوحة الغلاف وبين المضمون الكلي للرواية حيث ظهرت العلاقة الوطيدة بينهما.

٨- لقد عبر الكاتب عن قضايا مجتمعه على تنوعها، ومن هنا كان أمرا طبعيا أن يكون الكاتب كغيره من الروائيين الذين تأثروا بواقعهم المرّ؛ لذا نقلوه نقلا صريحا؛ حتى يتنبه الناس إلى ما هم فيه؛ فيقضوا على تلك المفاسد التي استشرت في هذا المجتمع.

٩- استخدم الكاتب الأساليب المعبرة عن النفسيات والصراعات الداخلية؛ فاستطاعت الرواية –بذلك - أن تستوعب آلام الإنسان ومعاناته.

١٠- أظهرت الدراسة إبداع الكاتب في استخدامه للصورة الروائية؛ إذ وظفها توظيفا جماليا؛ استطاع من خلاله رسم أدق المشاعر التي تصور أخفي الأحاسيس الكامنة في النفس البشرية.

١١- وجدنا استيعاب – أغلب – المقومات الفنية للرواية، للقضايا التي شغلت تفكير الناس في جميع المجالات والأزمات التي واجهتهم كالفساد السياسى والسلوك الاجتماعي .....إلخ.

١٢- احتوت الرواية بداخلها غلبية الشخصيات الموجودة في المجتمع وهذا يرفع شأنها؛ لأن القاريء يرى فيها قطعة مأخوذة من حياة المجتمع وسلوك أفراده عند

طوائف متعددة من البشر، وقد فطن الكاتب إلى ذلك؛ لأنه عندما يبتعد النموذج الروائي عن تمثيل الواقع تحدث فجوة بين الواقع وبين الرواية.

هذه هي أهم الجوانب البارزة في الدراسة، التي أضفت على العمل الروائي تميزا وخصوبة، فالكاتب يعد بمنزلة المربي الفاضل والأديب المعطاء الذي يجاهد بقلمه وفكره في معالجة قضايا مجتمعه؛ وقد نجح الكاتب في ذلك؛ لذا فهو جدير بأن نسهم في إبراز تجربته الروائية.

وبعد فالله أسأل أن أكون موفقا فيما كتبت؛ وأن ينال هذا الجهد المتواضع القبول، كما أسأله – تعالى – النجاة من الأهوال، وصلاح الأحوال، إنه سميع مجيب، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

" تعقيب"

إن هذه الرواية – أمي ...إليك السلام – من الروايات التي حازت علىٰ إعجابي بحق، لكن مؤلفتها قد خانها التوفيق عندما لم تلجأ إلىٰ التضمين في روايتها مع أن المجال كان متسعا أمامها لذلك؛ فمثلا عندما توفيت الملكة أم جيلفورد كان من الأفضل ذكر أبيات قريبة لهذا المعنىٰ علىٰ لسان الراوي أو إحدىٰ الشخصيات كأبيات عباس محمود العقاد في رثاء مي زيادة في قصيدته (آه من هذا التراب)

شيم غر رضيات عذاب

وحجا ينفذ بالرأي الصواب

وذكاء ألمعي كالشهاب

وجمال قدسي لايهاب

كل هذا في التراب ! آه من هذا التراب

وكذلك عندما تحدثت عن طيف الملكة الذي يأتي إلىٰ جيلفورد وهو في مدرسة الأمراء كان من الأفضل تضمين أبيات محمود سامي البارودي في قصيدته (طيف سميرة)

تأوب طيف من سميرة زائر ** وما الطيف إلا ما تريه الخواطر

وأيضا عندما تحدثت عن صمود جيلفورد أمام قسوة والده والصعوبات التي واجهته في مدينة المتمردين من الكهنة وغيرهم كان من الأفضل تضمين الحدث بأبيات الشاعر إبراهيم حلمي.

عادة مجد تالد ليس نزهة ** وصنع رجال ليس شيئا من الهذر

ولكنه غرس ووضرسي وشدة ** وليل بلا نوم وجهد بلا فتر
ومن جالد الأيام يعرف حقها ** من العرق المصبوب والمطعم المر
ولو كان صنع المجد لعبة لاعب ** لما عز مطلوب ولا هم من أمر

وكذلك عندما أبرزت الكاتبة مدينة المتمردين – أرض النفاق – كان من الأجدى لها التضمين من خلال أبيات أحمد شوقي في مدح الرسول (ﷺ)

أتيتك والناس فوضى لا تلم بهم ** إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة ** لكل طاغية في الخلق محتكم

وأيضا عندما تعرضت إلى أن فؤاد الأم تعلق بفؤاد جيلفورد كان من الأجود التضمين من خلال أبيات البارودي في قصيدته (طيف سميرة)

فيا بعد ما بيني وبين أحبتي ** ويا قرب ما التفت عليه الضمائر
فإن تكن الأيام فرقن بيننا ** فكل امريء يوما إلى الله صائر

إلى غير ذلك من قسوة الملك واستدعاء معاوية الذي قال لو كان بيني وبين الناس شجرة ما انقطعت إن شدوها أرخيتها وإن أرخوها شددتها.

والرواية مليئة بمواقف كثيرة شبيهة بذلك، إلا أن المؤلف يرى أن ذلك لا يغض من قيمة هذه الرواية التي استطاعت أن تمتلكني بأحداثها وتقنياتها.

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر

١ – أحمد بسيوني : بعدما تسقط أوراق التوت.

(مطابع حورس – جرافيك، ٢٠١٠).

٢ – هبة الشريف : أمي .....إليك السلام .

ثانيا : المراجع

١ – إبراهيم السعافين : تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠–١٩٦٧.

(دار المناهل للطباعه والنشر، ط٢؛ بيروت، ١٩٨٧).

٢ – أحمد إبراهيم الهواري : نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر.

(ط٢، دار المعارف، ١٩٨٣) .

٣– أحمد أمين : النقد الأدبي (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧).

٤ – أحمد محمد الحوفي : وحي النسيب في شعر شوقي.

(ط١، مطبعة العلوم بالقاهرة – ١٩٣٤) .

٥ – أنور فشوان: مقومات فن الرواية (مطبعة الأزهر بدمنهور، ٢٠٠٠).

٦ – بوشوشة بن جمعة : رواية (دنيا) لمحمود طرشونة.

(بداية تساؤلات ونهاية منفتحة – كتابات معاصرة – م٧ – عدد ٢٥).

٧– جابر عصفور : زمن الرواية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٩) .

٨– حسن بنداري : فنون علم المعاني (مكتبة الآداب، ط٥، ٢٠٠٢) .

٩– حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (المركز الثقافي، الدار البيضاء، ١٩٩٠) .

١٠- حميد لحمداني : بنية النص الروائي (المركز الثقافي العربي للطباعة – بيروت، ط، ١٩٩١)

١١- حنون مبارك : دروس في السيميائيات (ط١، دار توبقال للنشر، د٠ت).

١٢- خيري دومة : تداخل الأنواع في القصة القصيرة
(الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢).

١٣- سامي الدروبي : علم النفس والأدب (دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦) .

١٤- سعد مصلوح : في النص الأدبي.
(القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٣)

١٥- السيد نصر الدين سيد : إطلالات على الزمن الآتي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨).

١٦- سيزا قاسم : بناء الرواية. دراسة مقارنة في ثلاثيات نجيب محفوظ
(الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤).

١٧- شفيع الدين السيد : التعبير البياني (دار الفكر العربي، ١٩٨٣) .

١٨- صباح عبيد دراز : الأساليب الإنشائية في القران الكريم .

١٩- صدوق نور الدين : البداية في النص الروائي (ط١، دار الحوار للنشر ١٩٩٤) .

٢٠- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص (عالم المعرفة، رقم ١٦٤، ١٩٨٧) .

٢١- صلاح فضل : شفرات النص، بحوث سيمولوجية في شعرية القص والقصيد (دار الفكر، ط١، ١٩٩٥) .

٢٢- طه حسين : قادة الفكر (دار المعارف، ط٩، القاهرة).

٢٣- طه زيد : النزعة الإنسانية في شعر معروف الرصافي.

٢٤ – عبد الفتاح الحجمري : عتبات النص البنية والدلالـة(ط١، منـشورات الرابطـة، الرباط، ١٩٩٦) .

٢٥- عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية (مكتبة الشباب، القاهرة، د٠ت) .

٢٦- عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية

(المجلس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، سلـسلة عـالم المعرفـه، ١٩٨٠)

٢٧- عماد حاتم : النقد الأدبي قضاياه واتجاهاته الحديثة

(دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤) .

٢٨- غالي شكري : ثقافتنا بين نعم ولا (ط٣، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩١).

٢٩- لطيف زيتوني : معجم مصطلحات نقد الروايـة (مكتبـة لبنـان، دار النهـار ط١، ٢٠٠٢) .

٣٠- محمد الأدهـم : تحليـل الخطـاب الـسردي (دار الافـاق الجديـدة، بـيروت، ط٣، ١٩٨٦) .

٣١- محمد برادة : الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين

(دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١) .

٣٢- محمد زغلـول سـلام : دراسـات في القـصة العربيـة الحديثـة (منـشأة معـارف – الاسكندريه١٩٨٣)

٣٣- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحـديث (ط دار النهـضة العربية ١٩٧٩)

٣٤- محمد علي حافظ : مستقبل الشباب العربي (دار المعارف، ١٩٦٣) .

٣٥- محمد عناني : النقد التحليلي (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١).

٣٦- محمد عيلان : من سيميولوجيا الاتصال، السيمياء، النص الأدبي.

(دار الفارس للنشر، الاردن، ط١، ١٩٩٩).

٣٧- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية (مكتبة نهضة مصر).

٣٨- محمود السمرة : في النقد الأدبي (الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤).

٣٩- مدحت الجيار : من السرد العربي المعاصر.

(الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة كتابات نقدية، ١٩٦٦).

٤٠- ياسين نصير: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي.

(الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨).

ثالثا: الكتب المترجمة

١- روبرت شولز : سيمياء النص الشعري من كتاب اللغة والخطاب الأدبي.

(المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣) ترجمة سعيد الغانمي.

٢- روبرت همفري : تيار الوعي في الرواية الحديثة.

(دار المعارف، مصر ١٩٧٥) ترجمة محمود الربيعي.

٣- هنري جيمس وآخرون : نظرية الرواية في الأدب الانجليزي.

(الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٢) ترجمة انجيل سمعان ومراجعة رشاد رشدي.

٤- ويست بول : الرواية الحديثة (دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١).

ترجمة : عبد الواحد محمد .

رابعا : المجلات

١- إبراهيم فتحي : خصوصية الرواية العربية (مجلة فصول، عدد١، ١٩٩٨).

٢- أحمد إبراهيم الفقيه : السرد الروائي وفن التحايل على الإرادة الواعية (مجلة فصول، عدد١، صيف ١٩٩٨).

٣- جابر عصفور : (مجلة فصول، شتاء ١٩٩٣).

٤- حلمي القاعود : ملامح الرؤية، والفن في الرواية (شمس الخريف) (مجلة كلية الاداب، جامعة طنطا، عدد٢، ١٩٩٧) .

٥- صبري حافظ : البدايات ووظيفتها في النص القصصي (الكرمل، عدد ٢١،١٩٨٦)

٦- صلاح عبد الصبور : مقال.تجربتي في الشعر (مجلة فصول، مجلد ٢، عدد١)

٧- علي وطفة : المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية (مجلة فصول – المجلد السابع والعشرين، العدد الثاني، اكتوبر. ديسمبر ١٩٩٨) .

٨- عوني صبحي مؤنس الرزاز : الرجل الذي لم يرحل – أحياء في البحر الميت نموذجا (المجلة الثقافية، عدد ٥٦، عمان، ٢٠٠٢) .

٩- ماجد السامرائي : حياتي مع الكلمة (الجديد في عالم الكتب والمكتبات عدد٢،١٩٩٤)

١٠- محمد انقارم : الصورة الروائية بين النقد والإبداع (مجلة فصول، مجلد ١١ عدد٤، ١٩٩٣) .

١١- محمد الهادي : شعرية عنوان كتاب الساق (عالم الفكر، م٢٨، ع١،١٩٩٩)

١٢- نجيب محفوظ : (مجلة الرسالة، عدد ٦٣٥ – ٣/ ١٩ – ١٩٤٥).